ليل طنجة

الرواية الأخيرة

ليل طنجة

الروايـة الأخيرة

محمد سعيد احجيوج



دار العين للنشر

أسستها د. فاطمة البـودي عـام 2000

المـديـر العـام

4 ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة

تليفون: 23962475 20+ ، فاكس: 23962476 20+

E-mail: elainpublishing@gmail.com

الطبعة الأولى: 2022 م

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٥١٤٢ /٢٠٢١

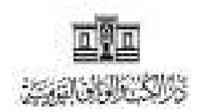
I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 623 - 7

محمد سعيد احجيوج

ليل طنجة

الرواية الأخيرة

دار العين للنشر



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

احجيوج، محمد سعيد

ليل طنجة: الرواية الأخيرة/ محمد سعيد احجيوج.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠٢٢

ص؛ سم.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٠ ٦٢٣ ٧

١– القصص العربية

أ– العنوان

٨١٣

رقم الإيداع / ٢٥١٤٢ / ٢٠٢١

لبخفأ سيا رهيجبحا ليعسا لمحد
ةبلتح ينتحمي لبّخيأ لأ .ينه
.هنم لبخفأ ةيام بستحلس .ةيام
.اّيثح هنم لبخفأ

رحلت يا ححححميدة الملعونة سبعًا رحلت والرحيل كما
الموت والرحيل موت عد للنوم أيها الحيوان ما يوقظك
في هذا القيظ حميدة ما عادت هنا لا تهز ذَنبَك الملعون
أيها الكلب الأجرب ركز ركز يجب أن أتنفس بعمق ركز
برد برد برد يجب أن أركز على نقطة ذكرى واحدة بعينها
لتكون مرساة توقف اندفاع أفكاري المتمردة ما أسهل
القول ححححميدة من لي بعدك أيتها الشيطانة أتُراك من
سلالة الأفعى التي أغوت بالإثم أف شهيق عميق ركز
تذكر أن تركز على الشهيق والزفير ظلام شهيق زفير ظلام
زفير شهيق نفق عميق زفير لا فائدة رباه ركز أو لا تركز
عليك اللعععنة تنورة مذيعة النشرة الجوية قصيرة جدًّا
تابع هز ذنبك الأجرب أيها الحيوان ما من حميدة ها هنا
ولا هناك ركز هناك تلك الحكاية سائق الميكروباص يحكي

لمساعده عن المغامرة التي قام بها ليلًا لاسترجاع حقيبة تضم مسدسين وستة أصفاد. ركبتُ وسط الحكاية التي لا أعرف كيف بدأت عن ضابط كان لسبب غامض في حي شعبي ليلًا تعرض لاعتداء وبلا بلا بلا. ركز. ماتت أمي. ماتت حميدة. مات جواد. أفتح عيني. ماذا جنيت عليّ أيها الططبيب الملعون تسعًا وتسعين مرة؟ قلمك الصوتي يحدق فيّ بعينه الخضراء الوحيدة وأنت لا شك جالس على مقعدك الوثير تشبك أصابع يديك على مكتبك وتستمتع بمشاهدتي أعاني لتجميع أفكاري. ماتت أمي ماتت حميدة مات جواد وسيربيروس أمام أبواب هاديس المشرعة في انتظاري. اللعععنة. مذاق الصديد. قاوم. قاوم. لا تتقيأ من جديد.

طالت المعاناة مع السرطان. سنة كاملة من العلاج الكيماوي لم يأتِ بأي فائدة إلا آلامًا متواصلة وفي وسطه بُتر الثدي الأول وبعد أن بدا أن البتر قضى على المرض انتقل الورم الخبيث إلى الثدي الآخر وملَّت والدتي من رحلات العلاج الطويلة ذهابًا وإيابًا بين طنجة والرباط وثَقُل كاهل الأسرة بارتفاع مصاريف العلاج. ماتت أمي ولم تكن حميدة هنا لعزائي. بعد عامين في معهد الملك فهد للترجمة طارت إلى

نيويورك تريد شهادة الدكتوراه في الترجمة المقارنة. مقارنة ترجمات القرن الحادي والعشرين للقرآن الكريم. قالت. لكنني لم أصدقها. لا أصدقها. لن أصدقها. ما أبعدها عن ذلك الموضوع بُعد الأرض عن مركز الانفجار الأعظم إلا أن يكون الموضوع ذاك نافذتها إلى منحة دسمة أو وظيفة مرموقة في أحد مراكز الأبحاث أو المؤسسات الثقافية الخليجية. فحصتُ ثديي حميدة حتى إبطيها نقطة نقطة بحثًا عن كتلة صلبة. ضحكَت. ليس عليّ أن أقلق. قالت. مرضه مُعدٍ لكن لا شيء يستدعي القلق. كان والد جواد يقول. كانت لا تزال في الرابعة والعشرين وسرطان الثدي لا يأتي قبل الأربعين. لكنك يا ططبيببي المحتال لم تخبرني كيف أخبر حميدة دون أن ترتعب وتهرب مني. أنا لا ألتهم حبوب منع الحمل. قالت. تلك الأقراص الكيميائية التي تربك هرمونات المرأة هي السبب الأول لسرطانات الثدي وعنق الرحم. النساء لا يعرفن ذلك. لكن سرطان أمي لم يأتِ بسبب تلك الحبوب بل بسبب أطنان غاز الخردل التي ألقتها إسبانيا على جبال الريف لتغطي على هزيمتها الفادحة في أنوال. يا نساء العالم اتحدن وتوقفن عن ابتلاع حبوب منع الحمل. فليتناولها الرجال. قالت حميدة التي لا تحب العازل الطبي. قالت بأنه يقتل المتعة تمامًا. هل سارة الخائنة لم تكن هي الأخرى تحب العازل

الطبي؟ طبعًا لا جواب أنت مجرد قلم تسجيل صوتي يلتهم كلامي ولا يعيد لي إلا الصمت. ثقب أسود. قلم بليد. حميدة لا تريد حاجزًا بين اللحم واللحم. لكنها في أمريكا الآن. الرجال هناك لا يخرجون من البيت إلا وفي جيوبهم دستة من الكوندومات حسبما تقول أفلام هوليوود ومسلسلات نتفليكس التي تكتبها خوارزميات الذكاء الصناعي. بخ. قريبًا ستؤلف الآلة الموسيقى وستكتب الروايات وأنا لا زلت أخربش على الصفحات روايتي التي لا تريد أن تكتمل وأخاطب قلمًا بليدًا ليس يفعل إلا امتصاص كلامي. متأكد أنها هناك في حضن رجل ما. بل أكثر. امرأة بشبقها الخارج عن السيطرة لن تتحمل كل هذا الوقت. مجنونة هي وقد تتحول إلى استعباد النساء إن لم تجد الرجل الذي يحقق لها الأمان المطلوب. كنا نتلاحم يوميًّا طيلة عام ونصف بعد أسابيع من محاولات التعلم الخرقاء من جهتي. كل يوم إلا أيام دورتها وإباضتها. جيد أنها رفضت العازل الطبي وإلا لذهب دخلي الشهري كاملًا إلى الصيدلية. أثناء زيارتنا الأخيرة للمستشفى وجد الطبيب أن حالة أمي تفاقمت. غالبًا بسبب تعب السفر. الحافلة من طنجة إلى الرباط في ذلك الصهد كادت تقتلني أنا الشاب المعافـــــ(عين السايكلوب الخضراء تغمز لي. نعم اسخر كما تشاء)ـــــى فكيف بوالدتي المريضة.

أُغمي عليها عند مدخل المدينة فطلب مساعد السائق المرتجف الخائف من مسئولية لا ذنب له فيها سيارة إسعاف التقتنا في الطريق. تلك ستمائة درهم إضافية كان عليَّ دفعها أولًا قبل أن يسمح المسعف بإخراج والدتي من سيارة الإسعاف. أصر الطبيب على حجز والدتي في العناية المركزة بضعة أيام ولم يكن لديَّ ما أفعله في شوارع العاصمة الباردة. أردت العودة إلى طنجة. همست لي الممرضة بنبرة صوت حزينة وملامح متعاطفة أنه من الأفضل أن آخذ والدتي إلى البيت. العازل الطبي لا يتوفر مجانًا إلا بجانب أبواب الثانويات حيث توزعه حسبما يقال جماعات تنصيرية تريد تخريب أخلاق المسلمين. مساكين أولئك المسلمون الذين ينتظرون من يقدم لهم عازلًا مجانيًّا لينحرفوا عن الصراط المستقيم. يقال بأن مستوصفات الأحياء الشعبية تقدم كوندومات مجانية. لكن من سيثق في هدايا وزارة الصحة؟ أليس كذلك أيها الطّطّطّبيبب التعس؟ لا تختبئ. أنا أراك خلف هذا المصباح الأخضر. إنه كاميرا لا شك. أنت حتمًا تراقبني الآن كما تفعل الكاميرات في الشارع ومستشعرات الحركة في الهواتف وفتات الكعك في فيسبوك وسجلات المشاهدة في نتفليكس. أليس كذلك أيها الطّطّطّبيبب التعس؟ لا أحد يثق في هدايا وزارة الصحة. هي إما عوازل ملوثة بما يلزم لتصيب الرجال بالعجز والعقم أو هي مهترئة

عديمة الجدوى قد تتمزق عند أول احتكاك. لم تحبل مني هذه المجنونة إلا بفضل العناية الإلهية. كان عليّ أن أجزل العطاء صدقات شكرًا للعناية السماوية لكني بخلت وها أنا ذا في هذه الغرفة البرزخية الضيقة الخانقة. أعرف أنها كانت مخلصة لي. لكنها لم تعد هنا الآن ولا أعتقد أنها ستترك نيويورك وتعود إلى طنجة. لن تفعل. ليس من أجلي وقد هرَبت يوم أخبرتها كأني صرت فارس الفرسِ الشاحب. ما كادت الحافلة تخرج من مدينة القنيطرة حتى جاءت المكالمة الهاتفية. ماتت أمي. نزلت من الحافلة. بقيت ساعة تحت شمس أغسطس في منتصف النهار قبل أن يستجيب صاحب سيارة إلى إشارتي ويقبل نقلي من مدخل مدينة القنيطرة إلى محطة القطارات. ركبت القطار إلى الرباط ومن هناك ركبت سيارة أجرة إلى المستشفى. طلب المدير رؤيتي. رجل خمسيني فضي شعر الرأس مع تجاعيد بارزة تحت عينيه. صافحني بكلتا يديه وعزاني في وفاة والدتي. كان متعاطفًا أو كان بارعًا في تمثيل مظاهر الحزن والتعاطف. جميعكم متشابهون كأنكم والمحامون جنس شيطاني مندس وسطنا. مكتبه بسيط. مكتبة صغيرة على يمينه عناوين كل كتبها بالفرنسية وخلفه صور شخصية معلقة. يظهر في إحدى الصور والملك يوشحه بوسام ما. في صورة أخرى على رصيف ميناء أمام فرقاطة وهو يلبس بذلة

البحرية الملكية. تنحنح الطبيب وسعل. أخرج من ملف على مكتبه ورقة تشبه الفاتورة. قال بأن حساب مديونية والدتي في المستشفى وصل إلى ستة عشر ألف درهم. قال المدير بأن سياسة المستشفى عدم السماح بإخراج الجثامين قبل أداء كامل الفاتورة لكنه يقدر مصابنا ولن يزيد علينا معاناة على المعاناة. الاستثناء لي وحدي. قال الطبيب. وقَّعت له التزامًا بالأداء خلال شهر وتركت له بطاقة التعريف الوطنية ضمانة. قال بأنه تكفل بحجز سيارة الإسعاف لنقل الجثمان إلى طنجة. التكلفة خمسة آلاف درهم يمكنني دفعها مباشرة للسائق بعد الوصول. سيارة الإسعاف إلزامية ولا يمكن نقل الجثة من/ إلى أي مكان إلا بها. تعب المدير من تمثيل التعاطف واستعادت قسمات وجهه حدتها ولامبالاتها. آه حميدة. أعرف.

أعرف. ما كان لعلاقتنا أن تتوج بالزواج. أعرف أن عين السايكلوب البليدة تسخر مني. حميدة لم تكن تحبني. الحقيقة يا ططبيبي أنها لم تكن مخلصة لي بدافع الإخلاص ذاته. الحقيقة التي طالما عرفتها ورفضت تصديقها أنها كانت تَستعرُّ مني وتتحاشى الظهور معي في الأماكن العامة. كنت بالنسبة إليها مجرد صمام أمان يسمح لها بإفراغ شبقها وإشباع شهوتها ونيل متعتها دون أضرار جانبية. تعرف أنني لن ألامس امرأة

أخرى وسأبقى لها وحدها. نظيفًا لأجلها. أقنعت نفسي بأنها ستقع في حبي يومًا ما وكنت أجاهد لمنحها ما تحب كما تحب. كنت واهمًا. قبل شهرين من وفاة والدتي دعتني لعشاء باذخ وأتبعته بليلة كانت الأفضل من بين كل ليالينا إلى أن صرخت في الأخير وانتفضت. بعد دقيقة من اللهاث نزلت من فوقي وابتسمت. قالت بأنها ستسافر فجرًا. جهزت التأشيرة وكل أوراق الالتحاق بالجامعة طيلة أشهر ولم تخبرني بكلمة إلى أن حان موعد سفرها. حححميدة. آه حميدة.

أيتها الملعونة سبعًا حميدة. اليوم بعد أسبوع من وفاة أمي ها أنا ذا مُمدٌّ على ظهري على الفراش تقذفني تيارات شلال أفكاري المضطربة وبين ساقيّ صارية منتصبة توجعني. أين أنت أيتها اللعععينة حميدة. تبًّا. لقد أحببتها. الآن أشتهيها بجنون. لم أعد أعرف إذا ما كنت قد أحببتها حقًّا. أشتاق إليها أي نعم. أم تُراني أشتاق إلى مفاتنها التي تفتحت على يديّ؟ لا. إزهار مفاتنها لم يكن على يديّ. حين جاءت إلى طنجة من الرباط لنيل شهادة الماستر في الترجمة لم تكن بكرًا عذراء كما كنت أنا. الأصح أنني أزهرت على جسدها وبجسدها والآن رمتني حميدة كحذاء مستهلك ورحلت وتركتني عطشان إليها أحترق شوقًا وظمأ إلى شفتيها الرطبتين والحجرين على صدرها والدغل

الصغير بين ساقيها. إنه خطؤك أنت أيها الطّطّبّيب المأفون العفن يا كيس الفضلات يا كيس الصديد. مذاق الصديد مرة أخرى والبركان يريد أن يحفر واديًا جديدًا في حلقي. لن أتقيأ. قاوم. ظننتُني كنت أُشبع شبق حميدة الذي لا يخمد حتى يتمكن حبي من قلبها لكنها ذهبت ووجدتُني صرت أكثر شبقًا منها. تبًّا. أكرهها. استغلتني طيلة سنة ونصف. أحبها. عشت معها عامًا ونصفًا من الأمان. كانت منقذتي من النيران التي تشعلها في الرجال أجساد النساء العاريات في الشوارع. الآن أحترق. الألم يحرقني والحيوان الغبي يعضني أسفل بطني. الانتصاب مؤلم. مؤلم جدًّا. ماتت أمي. وارَى الثَّرَى جسد أمي منذ سبعة أيام وسبع ساعات. أضغط بيدي. أسحب وأطلق. أحك. حميدة جالسة عليّ. شعرها الطويل يصل إلى خصرها. أقبض عليه وأجره. صوت الفرقعة لالتحام الجسدين وانفصالهما. القمران المتوثبان. ينفجر الماء. هذا لا يكفي. يبدأ الحيوان في الارتخاء لكنه ما زال مؤلمًا. ما حك جلدك مثل ظفرك. يقولون ولم يصدق قولهم في هذا المقام. إنه آخر العصر. أنظر إلى يميني حيث يقيم رفيق غرفتي. مكتبي الخشبي القديم. عمَّر معي العمر كله. اشتراه لي والدي حين وصلت إلى السنة السادسة في المدرسة الابتدائية. جاء به من سوق المتلاشيات وما كان ليقدر على شرائه جديدًا. لكنه اعتنى

به ونظفه وطلاه بطبقة من الطلاء اللامع فبدا كأنه جديد. بعد أول عطلة صيفية لي مذ عُينت معلمًا في قرية باب برِّد اشتريت جهاز حاسوب. كمبيوتر من العصر الديناصوري. جهاز مستعمل تتخيل من صوت مروحة تبريد المعالج وصوت محرك الأقراص أنه مركبة فضائية تستعد للإقلاع نحو المريخ. زين الكمبيوتر سطح المكتب لأربع سنوات كاملة قبل أن يخر ميتًا وتفشل كل محاولات ترقيعه وإصلاحه التي صرت محترفًا فيها لكثرة الأعطال التي صادفتها معه خلال سنواتي معه. سطح المكتب الآن مثقل بالكتب وأغلبها روايات حيث كان الكمبيوتر يتربع يومًا قبل أن أبيع قطعه الصالحة وأرمي غير الصالح للبيع منه. آه. آآآه. لا حظَّ لي مع التركيز. اللعنة ركز. ركز. ركز.

ركز. أكرر مجددًا وأعرف عبثية ما أقول كما كان سيزيف يعرف عبثية حمله الصخرة إلى قمة الجبل ليرقب انحدارها الخارج عن سيطرته وليعود مجددًا لتكرار المحاولة. أظنه حتى لو عرف مقولة أينشــ(إن كان حقًّا أينشتين قائلها)ــتين عن غباء تكرار الفعل نفسه وتوقع نتيجة مختلفة سيكرر ما يفعل بحذافيره. ليس غباء حتمًا. إنه القدر العبثي الذي يسلسل أيدينا ويقيدنا إلى قوانينه التي لا نملك منها فكاكًا. جنح

ألبير كامو بعيدًا إذ قال إن الإحساس بالعبث لا يقود إلى الانتحار بل يدفع إلى الثورة فالجزء الأكبر من حياتنا هو نتيجة الشعور بالأمل في الغد. قال كامو إن المعاناة في حد ذاتها كافية لشغل قلب المرء ولا شك أن سيزيف كان سعيدًا. هل كانت سارة سعيدة بخياناتها المتكررة لجواد؟ لا تحاول أيها القلم الأبكم لا أنتظر منك جوابًا. يرى كامو أن السر هو في وعي سيزيف بعبثية الفعل. في تسليمه وتعايشه مع الأمر. خلال ساعة الوعي تلك يصير سيزيف أقوى من الآلهة التي عاقبته. وعيه بمصيره المأساوي هو ما يجعل منه إنسانًا وقوة تحمله لذلك هي ما تجعل منه بطلًا. لا شك إذن أن سيزيف كان سعيدًا. يقول كامو. لا أظنني فهمت شيئًا. حرارة الصيف والفلسفة الفارغة. لم أفهم شيئًا. أتحسر على سنوات المراهقة الجميلة حيث لم تكن ثمة أي مسئوليات. كل الوقت للقراءات المتنوعة. ما أكثر ما قرأت في الفلسفة آنذاك ولم أقرأ كتابًا آخر في الفلسفة مذ ثقُل كاهلي بالمسئوليات اليومية لحياة الكبار. يا لروعة تلك الأيام يا لملل هذه الأيام. ملل أيام الصيف. حرارة العصر والنهار الطويل الذي لا يريد أن ينتهي. أغمض عيني. أقطب جبهتي. أفكر. أحاول التذكر. فقدت الحساب. لا أعرف تاريخ اليوم. لعله الثلاثون من أغسطس. لعله العاشر من سبتمبر. لا أحب الصيف.

الملل والحرارة والظهائر الطويلة التي لا تريد أن تنتهي. لا أحب الربيع. الحياة التي لا تضحك إلا للآخرين. الأمل الزائف بحاضر مشرق ومستقبل أفضل. لا أحب الشتاء. الأمطار التي تحد من الحركة والعواصف التي تقلب المظلات وتكسرها. الشوارع الغارقة وجدران البيوت التي تسرب الماء. أحب الخريف. حين كان هناك فعلًا فصل يسمى خريفًا يأتي بين الصيف والشتاء. لم تعد ثمة الآن فصول منتظمة مرتبة وما عادت الفصول تعرف طبيعتها التي يجب أن تتصرف بموجبها. حححميدة يا حميدة كيف هي الفصول عندك في نيويورك؟ يحكون أن رجلًا كان يخاف من الدجاج لأنه يحسب نفسه حبة قمح. ذهب إلى طبيب نفسي وبعد عدة جلسات علاج اقتنع الرجل أخيرًا أنه ليس حبة قمح. خرج سعيدًا بأنه شفي. لكنه ما إن خطا بضع خطوات خارج العيادة حتى عاد يصرخ ويولول بكلام متقطع. تلقفه الطبيب مندهشًا. قال الرجل إنه رأى ديكًا. لكنك تعرف أنك لستَ حبة قمح. قال الطبيب وأومأ الرجل. أعرف لكن الديك لا يعرف أنني لست حبة قمح. أحب الخريف. أحب حرارته المعتدلة الباردة قليلًا التي تمنحني حرية المشي لمسافات طوال دون أن أعرق كثيرًا. أحب أمطاره الخفيفة المنعشة. أحب كآبة الخريف الحِرِّيفة. الحزن اللذيذ الذي يسري في الجو خلال

فترة ما بعد العصر وقُبيل الغروب المبكر حيث تخلو الشوارع وتهب الريح التي تعزف في أذنيَّ أغانيها السحرية. لي وحدي. أحس آنذاك كما أحب تمامًا بالعزلة الآمنة. بأني وحدي في هذا العالم. لا مضايقات ولا مسئوليات. وحدي لا أفعل إلا أن أنعش رئتيَّ بالهواء النقي ووجهي بالنسيم العليل ثم أعود إلى البيت وأثب عميقًا إلى جحر الأرنب أو أمرُّ عبر المرآة أو أعبر طريقًا سحريًا وسط خزانة الملابس أو أخترق الجدار إلى الرصيف تسعة وثلاثة أرباع أو أطل على فوهة البركان لأرمي الخاتم السيد الذي يتحكم في كل الخواتم أو أتسلل تحت أنفاس التنين النارية لأخذ كنزه أو ألبس السواد وأذهب لحماية الجدار. لكن الخريف ما عاد خريفًا والعزلة ما عادت آمنة. آه. أقلب نظري في أرجاء الغرفة. لا الخريف بقي خريـ

ـفًا ولا العزلة آمنة. جاءت الوظيفة. المسئوليات ثقُلت وكثُرت وحميدة دخلت حياتي لتقلبها رأسًا على عقب ثم ذهبت كما ذهبت أمي وبقيت وحدي ممدًا على الفراش أترقب الذي يأتي ولا يأتي. لا أفعل إلا أن أقلب الأفكار في رأسي. لا أفعل إلا أن أغرق في تيار الأفكار الذي يأخذني أنَّى يشاء ودماغي صار يأكل نفسه. أخربش على الورق قليلًا وأقلب في الكتب لا أكاد أقرأ نصف صفحة من

أحدها حتى أقفز إلى آخر. حميدة لا تحب الخريف. حميدة تحب الربيع. تحب نسيم الربيع الذي يتلاعب بفستانها ويدغدغ ما بين ساقيها. حميدة تحب الصيف. تحب شمس الصيف التي تقبل بشرتها العارية. أما جواد فكان مثلي يحب الخريف ويعشق الخريف ويشتهي لو تتوقف الأرض عن الدوران حول الشمس حين تصل تمامًا إلى النقطة الأمثل ليوم الخريف. يوم الاعتدال الخريفي إن لم يكذب أستاذ التاريخ والجغرافيا. جواد هو الآخر مات. ثلاثة أشهر من المرض. مرض غريب لم أعرف ما هو. لم يسمح لي والد جواد بزيارته ولا لأحد من أصدقائنا. متى ما ذهب أحدنا كان والد جواد يستقبلنا عند الباب. جواد مصاب بمرضٍ مُعدٍ ولا يُسمح لأحد برؤيته. كان الرد الدائم للأب إلى أن مرت ثلاثة أشهر فصار الرد بعدها أن جوادًا مات. استوحى صديقنا احجيوج حكاية روايته كافكا في طنجة من سيرة حياة جواد طعّمها بكثير من الخيال والهراء. لاحقًا عرف أحد أصدقائنا ولم يقل لنا كيف عرف أن جوادًا وصلته حصته من غاز الخردل الإسباني واستوطن السرطان في خلايا دماغه التي صارت تأكل نفسها. محمد سعيد ليس أفضل مني. أنا أيضًا يمكنني كتابة رواية.

أنا أعرف جوادًا أكثر منه. أعرف عنه ما لا يعرفه غيري. سأكتب رواية عن جواد أفضل من كافكا في طنجة.

أقفلت عليّ غرفتي ولم أحضر حتى عزاء والدتي. سبعة أيام خلق فيها الرب الكون وحصل على يوم إجازة. سبعة أيام أصارع فيها تدفق الأفكار والرواية المراوغة والأوراق المبعثرة المستعصية طلاسمها عن الفك. العزاء مضيعة للوقت ليس إلا. لا أحد حزين مثلي ولا أحد جاء ليعزي كما يجب أن يكون العزاء. الجميع جاؤوا فقط لالتهام نصيبهم من وليمة المأتم. عجيب أمر هؤلاء الناس الذين يأتون إلى المأتم كما يأتون وليمة الزفاف. لا هَمَّ لهم غير بطونهم ولا يحاولون حتى تمثيل الحزن ولا حتى منع أنفسهم من تبادل النكات والضحك عند كل فاصل من فواصل تلاوة الطُّلبة الجائعين دومًا. ححميدة الجميلة سينخر فيكِ الدود سيلتهم أحشاءِكِ سيتدفق من كل ثقوبك سيغطي كامل بشرتك. حميدة اللعينة. الأسبوع كان سيكفيني لكتابة الرواية لكني بالكاد كتبت مُسوَّدة الفصل الأول. يجب أن أكمله اليوم. يجب وإلا فلا أمل أن أكمل الرواية أبدًا. التركيز صعب والأفكار تتدفق من كل مكان. انطفأ المصباح. ها قد عادت عينك الخضراء لتومض. كان عليّ أن أضمك إلى صدري وأنفخ فيك ثم ألطمك بعنف قبل أن تعود للعمل. ذكَّرتني بالكمبيوتر الذي

كان يحتاج إلى بضع لطمات صباحية قبل أن يقرر الاشتغال. أيها الطبببالطبيب اللعّعّعين لا دواؤك نفع ولا قلمك هذا الذي ألطمه على صدري وأنفخُ فيه في كلّ مرّة يتعطل وما أكثر ما يتعطّل. حميدة تسخر مني. ححميدة أيتها الملعونة سبعًا اغربي عن أفكاري. ركز. ركز. وأنت أيضًا يا عين السايكلوب ارتح جانبًا سأعود إلى قلم الرصاص والأوراق التي كتبت. جواد ينادينى. *يعرف جواد بيقين تام أنه يحلم إلا أنه لم يملك فكاكا من الكابوس المطبق عليه. يدرك أنه على فراشه يقاوم ويحاول التقلب والاستيقاظ. لعله أيضًا يصدر همهمات لتنبيه زوجته غير أنه احتمال بعيد المنال أن تستجيب له. كان جواد الإدريسي في المقهى مع أصدقائه المعلمين الذين يصفهم صديقهم إدريس المرابط بـالبشمرگة.* أوريكا. نادي البشمرگة سيكون أنسب عنوان للرواية. هذا ما كان ينقصني. أحس بالبركان الخامد يزأر. وجدت العنوان. هذا ما كان ينقصني. أشعر أن الرواية ستتدفق الآن وسأصلح ثغرات الفصل الأول بسهولة.

ما عاد جواد يتواجد في مقهى كلاريدج إلا أيامًا معدودات في الشهر وحتى وهو برفقتهم الآن كان شاردًا عنهم يحدق بنظرات فارغة إلى ~~التلفاز المعلق المشرع نافذةً على ضيفين في برنامج حواري عربي يحاول فيه كل منهما التفوق~~

~~على صاحبه أيها الأعلى صوتًا~~ التلفاز المعلق. لم تكن مشادات الضيفين في البرنامج الحواري واضحة الكلمات والأصوات تبدو مكتومة كأن المقهى مفرغ من الهواء أو ممتلئ بالماء. سحب جواد بصره عن التلفاز ملتفتًا إلى الباب نحو كريم الأزرق القادم بخطوات قصيرة مرتبكة. رآه مترددًا يسحب قدميه متألمًا كأنه لا يعرف ~~إن~~ إذا ما كان عليه الإقبال أم الإدبار. عيناه محمرتان من أثر السكر على ما يبدو وجفناه ثقيلان ورأسه مُنكَّس. دخل كريم وسحب كرسيًّا وجلس. لم يهتم بالرد على تحية أي منهم وبدا لهم واجمًا غائبًا في عالم ما من العوالم التي ينتقل إليها حين يفرط في السُّكْر. لعله الآن في أعماق بئر ينقب عن منفذ إلى غرفة الفندق المظلمة حيث وجد المرأة الغامضة التي قال عنها إنها خير من الحور العين اللواتي يفجر البعض أنفسهم ليفتحوا بابًا سحريًّا إليهن عبر قبورهم. كثيرًا ما قال كريم إنه يشرب حتى يفقد السيطرة على جفنيه فيجد نفسه يسقط في بئر عميقة جدًّا مسربلة بظلام كثيف حتى يصل إلى قعرها الجاف ويعبر عبر الجدار فيجد نفسه في بهو فندق يبدو عليه القِدَم كل غرفه مقفلة إلا غرفة واحدة وجد فيها امرأة لم تسمح له برؤيتها وألزمته بعدم إضاءة الغرفة. غمز جواد لي حين حكى كريم للمرة الأولى حكايته

تلك عن رحلاته المزعومة خلال سكره. أخبرني لاحقًا في طريقنا أن المشهد ذاك مأخوذ حرفيًّا من إحدى روايات هاروكي موراكامي. أعصر ذاكرتي الآن لتذكر عنوانها لكن لا فائدة. من الصعب وسم كريم الأزرق بسعة الاطلاع غير أنه لا يضيع أي كتاب مستعمل يراه يُباع على قارعة الطريق في سوق المتلاشيات إلا وأتعب بائعه في مفاوضات مرهقة تدفع البائع أغلب الأحيان للتخلي عن الكتاب مجانًا للتخلص من إزعاج كريم.

~~كثيرًا ما تلمظ كريم بقصصه الشبقية مع تلك المرأة في الحلم.~~ قال كريم إنه عاش مع تلك المرأة متعًا لم يعشها مع أي امرأة أخرى لا من قبل ولا من بعد. ~~لكن الوقت كان لا يزال عصرًا ولم يكن من عادة كريم السكر صباحًا.~~[1]

---

[1] *(لكن الوقت كان لا يزال عصرًا ولم يكن من عادة كريم أن يتجرع الخمر قبل اختفاء آخر شعاع من ضوء الشمس إلا في الصباحات التي كان يغادر فيها الفراش خائبًا. أو هذا ما كان يفترضه جواد وهو يعرف لا شك أن حكاية كريم منحولة حتمًا من رواية يوميات طائر الزنبرك.)* أضحك. أتخيلني أرقص حول نفسي كما أبرع راقصة باليه. هو ذا عنوان رواية موراكامي جاء لوحده على لسان سارد حكاية جواد. بركاتك يا عم فرويد. أغمض عيني. أستشعر فوران الحمم في أعماق البركان. أرى ملامح جواد ونظراته المتعبة. في الخلفية تبهت صورة حميدة.

بقي جواد يحملق في وجه كريم بعض الوقت في حين تجاهله الآخرون وعاد من عاد منهم إلى شبكة الكلمات المتقاطعة في الجريدة وآخرون إلى مواصلة جدالٍ من جدالاتهم التي لا تنتهي وأحدهم رفع بصره إلى التلفاز الذي انتقل الآن لَبثِّ قناة يابانية عن عالم الحيوان. كُتم صوت التلفاز وصدح صوت فيروز من المذياع تغني عن جسر العودة إلى فلسطين. إليك هذه المعلومة أيها الططبيب. لقد أحببت هذه الأوبريت كثيرًا. ما زلت معجبًا بها خاصة مطلعها أحترف الحزن والغياب أرتقب الآتي ولا يأتي. لكنها ما عادت تزرع فيَّ أي حماس. العاثر ينهض النازح يرجع المنتظرون يعودون وشريد الخيمة يرجع يدخل آلاف الأطفال من كبروا الليلة في الخارج عادوا كالبحر من الخارج. بخ. محض كلام يجري على الألسنة لا صلة قرابة له بالأفعال. هي مجرد أمنية ابتُذلت لكثرة ما تكررت أملًا زائفًا.

ما زال جواد يقاوم محاولًا الخروج من الحلم. يتذكر تمامًا الذكرى التي يحاول الحلم تكرارها. دقات قلبه تتسارع ولا يريد أن يعيش تلك الأحداث مجددًا. الأحداث التي تتكرر أمامه تمامًا كما حدثت أول مرة. الآن يستشعر جواد

كما استشعر من قبل من ملامح كريم ~~أنه ثمة شيء ما غير طبيعي~~ أن الخبر قادم. انقبض قلبه وأحس بكهرباء ساكنة تتجمع في الجو. استند على مسند مقعده وهَمَّ بالنهوض مدفوعًا بقدرية الحلم ليغادر فما عاد يشعر بالراحة. لكن شفَتَيْ كريم انفرجتا آنذاك بغتة وانفلت لسانه من سجنه ونطق بالخبر وفات الوقت على هروب جواد من الكابوس.

~~إدريس مات~~. إدريس انتحر.

~~عمالصمتالمقهىوبقيتالكلماتعالقةفيالحناجرولميستطعجوادابتل اعريقه....~~

لفظ كريم الخبر. إدريس انتحر. كل الأصوات في المقهى كانت مكتومة إلا القنبلة التي ألقاها كريم توقفت الكلمات في الحناجر وأخرس الصمت ألسنة الجميع تغلب أحدهم على وطأة الصدمة وسأل مرتبكًا طالبًا التأكيد متشككًا أن سمعه خانه حاول جواد ابتلاع ريقه لكنه أحس بلسانه يلتصق بسقف فمه وأحس برأسه ثقيلًا ثم أطبق عليه الظلام ولم يعد يحس بشيء تحررت الأصوات من الستارة الكاتمة وسمع رواد المقهى صوت الكؤوس الزجاجية تتهشم وصوت الطاولة تنقلب ورفقتهما صوت ارتطام

جواد بالأرض كان جواد يحاول الاستناد على ذراعَيْ مقعده للقيام قبل أن يسربل الظلام وعيه فسقط آخذًا معه مفرش الطاولة وما عليها من كؤوس وما تحمل الكؤوس من سوائل. فكر جواد أنه لو كان هذا حُلْمًا حقًّا فإن هذه هي اللحظة المناسبة ليستيقظ. لم يعد للحلم ما يكشفه بعد هذا المشهد وفتح جواد عينيه بسهولة. كان نائمًا على ظهره. قلبه ما زال يدق بسرعة. قلبي يدق بسرعة. قطرات تكثفت على جبهتي. أشعر بعطش حارق. أحملق في القنينة البلاستيكية الفارغة. سموم سموم سموم أينما وليت وجهك. ثقب في الأوزون ثقب في القلب ثقوب في الذاكرة ثقوب في الجسد ثقب أسود بين فخذَيْ حميدة ابتلعني امتصني انكمشت داخله ذبت داخله انصهرت داخله وسكبت عرقي على جسد الملعونة سبعًا حميدة. حميدة. حميدة. حميدة. حميــــــــ*(قلبه ما زال يدق بسرعة. جبهته مثقلة بقطرات العرق المتكثفة)*ـــــــــــــــــدة. اغربي عن وجهي ححححميدة اخرجي من جسدي.

~~*قلبه لا يزال يدق بسرعة. جبهته مثقلة بقطرات العرق المتكثفة. شعر ببلل دافئ أسفل بطنه. لم يجرؤ على رفع الملاءة.*~~ اغربي عن وجهي حميدة اخرجي من جسدي.

قلبه لا يزال يدق بسرعة. جبهته مثقلة بقطرات العرق المتكثفة. شعر بتعب خرافي وشعر لأول وهلة ببلل دافئ بين فخذيه. لم يصدق نفسه. ظنَّ أنه ما زال يحلم وبأن البلل الذي يشعر به هو وهم السوائل التي انسكبت عليه خلال سقوطه فاقدًا للوعي. لم يجرؤ على رفع الملاءة ولا أن يستكشف بيده. رمش بعينيه عدة مرات لكن شعوره بالبلل لم يتغير.

~~فكر جواد أنه لو كان هذا حلـمًا حقًّا فإن هذه هي اللحظة المناسبة ليستيقظ. لم يعد للحلم ما يكشفه بعد هذا المشهد وفتح جواد عينيه بسهولة. كان نائـمًا على ظهره. قلبه ما زال يدق بسرعة. (تنقل الفقرة إلى الصفحة السابقة)~~

(بدء الفقرة بالجمل التالية[1]) بدأ ضياء الصباح يخفت وينسحب كأن آلة شفط عملاقة في الخارج تمتص النور

[1] (لقد غادر عالم الأحلام إذن. تجول ببصره في أرجاء الغرفة. إنها غرفته بالتأكيد. زوجته نائمة على الطرف الآخر من السرير. على مقربة منها مهد طفلتها أمل. ساعة الحائط العتيقة التي اشترتها أمه ضمن تجهيزات عرسها تشير إلى السادسة صباحًا. ستارة النافذة الشفافة تظهر له صورة ضبابية من زرقة ميناء طنجة وأصوات النوارس تصله خافتة من البعيد. إنها غرفته بالتأكيد. على الحائط أمامه ثلاث من لوحات الخط العربي التي كان يعشق رسمها قبل أن تقبض عليه الحياة بفكها وتقصم ظهره. ليس حلـمًا ما يعيشه الآن. بدأ ضياء الصباح...)

وتسحبه من البيوت. التفت جواد إلى النافذة بحركة حادة وظهرت له ظلال سرب من السحب كثيفة السواد تقترب وتحجب ضوء الشمس الذي صار الآن باهتًا. لم تتأخر السحب في وضع حملها الثقيل. انفلتت منها بدايةً قطرات كبيرة متفرقة أزعجت جواد برتابة نقرها على زجاج النافذة ثم جاء من البعيد صوت الرعد وانفرط ماء السحب عنيفًا وانطلق مخاضها دفعة واحدة. تململت زوجة جواد في الفراش واستدارت لتنام على جنبها الأيمن وليواجه وجهها جواد. يعرف جواد أن نومها ثقيل ولا تكفي الرعود ولا البروق ولا حتى بكاء رضيعتها لإيقاظها إن لم تشأ هي أن تفتح عينيها من تلقائها بكامل إرادتها الحرة. سابقًا كان يفكر أن سارة تدعي النوم لتهرب من تغيير حفاظات الصغيرة التي لا تتوقف عن البكاء حين تخرج فضلاتها فيضطر هو لتغييرها. ~~أحيانًا أكثر من مرة في الليلة الواحدة.~~ لكن تبين له خطأ افتراضه وبأن نوم زوجته صار عميقًا فعلًا يحسبها من يراها كأنها ملاك بلا خطايا وهي حتمًا ليست ملاكًا وليست بلا خطايا. حتمًا هي ليست بلا خطايا تلك الملعونة الخائنة سارة. ندمي الأكبر أني لم أجرؤ على إخبار جواد وقد رأيتها. رأيتهما معًا. تسمرت واقفًا على الرصيف. تجمدت قدماي. تجمدت عيناي عليهما وهما

خارجان من ذلك الفندق في تلك الساعة من العصر. هي. سارة حتمًا. يخاصرها بغلٌ ما. ندمي أني لم أجرؤ على إخبار جواد وكيف أخبره أني آنذاك اشتهيتها. اشتهيت فخذَيْ زوجته العاريتين تنادياني من بعيد أن أُمسِّد عليهما أن أقبلهما أن ألحس تلك البشرة الفاتنة وأمص ذينك النهدين النافرين. اللعنة عليك يا حححميدة ارحلي اغربي ارحميني أيتها اللعينة كوني رحيمة بي مرة واحدة لا غير ارحلي. ارحلي. *كانت زوجته تكره ابنتها. اعتقد بداية أنها تنفر منها بسبب مرضها. بسبب عينيها المنغوليتين وجبهتها العريضة وشفتيها الثقيلتين وقلة إدراكها. لكنها فعليًّا لم تكن تنفر من الصغيرة. لم تكن المسألة مسألة نفور بل كراهية ومقتًا كأن الصغيرة تذكِّر والدتها بخطيئتها العظمى أو بالقيد الذي كبلت به نفسها إلى جواد وعائلته. غمر الجو المكفهر جوادًا بالكآبة. ما عادت الفصول تحترم مواعيدها في هذه المدينة. إنها الأيام الأخيرة من فصل الربيع وها هي ذي السماء تشرع أبوابها كما لم تفعل شتاءً. ارتبكت بوصلة المناخ في هذه المدينة كما ارتبكت أشياء كثيرة. أغمض جواد عينيه وتنفس بعمق ثم رمش بعينيه عدة مرات. لكن لا شيء تغير. ما زال يأمل أنه يحلم. ليس من السهل أن يتقبل أنه فقد السيطرة على مثانته وبلل نفسه في الفراش. أخذته كآبة*

الجو المكفهر ورتابة قطرات المطر إلى أيام طفولته التي قضى أغلبها وهو يبلل فراشه. يذكر أنه كان قد تجاوز العاشرة من عمره وكان لا يزال يبلل الفراش ليلًا. لم يكن والده يعرف شيئًا عن ذلك. كانت والدته تُحمِّمه كل صباح قبل الذهاب إلى المدرسة وتنظف الملاءة والغطاء البلاستيكي الذي كانت تحمي به الفراش وكانت تخفي كل ذلك سرًّا عن الوالد الذي لن يتردد في استخدام حزامه الجلدي ذي الإبزيم الحديدي كل صباح على جسد الصبي.

كان جواد الصغير يستغرب من نفسه كيف ما زال يتبول لا إراديًّا ليلًا في فراشه في حين أن أخته هند الأصغر منه بخمس سنوات لا تفعل ذلك. ~~*لاحقًا بعد سنوات حين بدأ يتجول بين أغلفة المجلات ويدفن نفسه في صفحات الكتب قرأ عن فرويد واكتشف الليبيدو وقرأ عن العقد النفسية وأدرك أن أسلوب تربية والده له التي كان العقاب مبدأها ومنتهاها هو السبب في ارتباكه الليلي ذاك. (جملة ركيكة. حذف.)*~~ كنا في مجلسنا المعتاد في المقهى حين ذهب الحديث بشكل ما إلى التبول اللاإرادي عند الأطفال. لم أنتبه لمن فتح الموضوع قبل أن أرى حمرة خجل مرت سريعًا على وجه جواد. لعله معلمٌ ما كان يشتكي من الرائحة

النفاذة في ملابس تلميذ في فصله لا وقت لوالدته لتحممه كل صباح من تبوله الليلي في فراشه. نقل أحدهم تفسيرًا قرأه في مجلة ما عن الضغوط النفسية وتأثير التربية وعنف الآباء على السَّلَس البولي. كلام فارغ. *قرأ جواد في فترة تالية بعد أن ازداد وعيه وأتقن القراءة بلغات غير العربية عدم صحة ارتباط الضغوط النفسية بالتبول اللاإرادي عند الأطفال. لا تعدو تلك الافتراضات أن تكون محض هراء. بل السبب الرئيس حسب دراسات طبية هو وجود جينات وراثية تأتي من أحد الوالدين. وحتى قبل اكتشاف الدليل الوراثي كانت هناك دراسة إحصائية رفعت احتمال إصابة الطفل بالسَّلَس البولي بنسبة أربعين بالمائة إذا كان أحد الوالدين قد عانى منه في طفولته وإن لم يستطع الطب إثبات وجود أي سبب فيزيولوجي واضح للمشكلة. أدرك جواد أمرين. أولًا إن والده على الأرجح عانى في طفولته السلسَ البولي وأدرك ثانيًا أن امتلاك العربية لغةً وحيدة هو الفقر عينه. هو الإفلاس عينه. القراءة بالعربية دون غيرها تتركه تحت رحمة ترجمات الناشرين العرب البئيسة والمقصوصة والمتصرف فيها. في الحادية عشرة من عمره تخلص جواد بشكل كامل وتام من مشكلة التبول اللاإرادي خلال الليل. لكنه في تلك السنة وللمرة الوحيدة في حياته تبول*

في *ملابسه رعبًا.* آه أيها الطّطّبيب. ثمة ذكرى حسبتها ماتت تحت أنقاض ذكريات أخرى لكنها الآن تتحسس طريقها للخروج. لا يجب أن تخرج للسطح. لن أسمح لقلمك أن يسحبها مني. عودي لمستقرك وموتي. ليتك هنا حححميدة. إلهاء. ركز. اشغل نفسك. أشغل يدي بإقامة الصارية تحت بطني. عودي لمستقرك وموتي. ومضة ضوء. لهاث ويدي تسابق ذاكرتي التي يجرها قلمك الملعون أيها الطّطّطـــــــــــــ الألعن. تبًّا. ومضة ضوء أخرى. بيـــــاااض.

كان الوقت نهارًا وكان وسط حشد التلاميذ في مدرسته يلعب مع زملائه خلال استراحة العصر لعبة الاستغماية في ساحة المدرسة كان مختبئًا خلف دائرة من الفتيات يلعبن إحدى لعبهن الخاصة حين أطبقت عليه يد ضخمة رفعته اليمنى من عنقه وهوت عليه اليسرى بصفعة رهيبة بُهت جواد الصغير ولم يفهم شيئًا ارتعدت أوصاله وانتفض جسده انحبست الدموع في مقلتيه وتحشرج الصوت في حلقه ولم يستطع البكاء خوفًا ربما أو على الأرجح ذهولًا جرته يد المعلم إلى تجمع للمعلمين يواسون معلمة تبكي دفع المعلم جوادًا ونطق بكلمة السر هذا هو الفاعل عندها

كفكفت المعلمة دموعها وأرسلت كف يمناها بكل ما لديها من قوة إلى وجه جواد تقهقر جواد من قوة الصفعة واختل توازنه تلقفت الأرض ظهره واحتضنته تكوَّر جواد على نفسه وبدأ الجسم ميكانيزماته الدفاعية لتحرير نفسه من ثقل الفضلات فشرّعت المثانة أبوابها وبلل جواد الصغير نفسه لم يفهم آنذاك شيئًا عن هذا العقاب المجاني سيرسله المدير يومذاك إلى البيت وسيطلب حضور والده عاد جواد إلى البيت منكسرًا وكان قد اختار طريقًا غير طريقه المعتاد حتى لا يراه أحد معارفه بسرواله المشبع بالبول أدخل مفتاحه في قفل الباب بصمت ودخل محاذرًا أن يلفت انتباه والده الذي يبدأ بُعيد العصر استعدادات ذهابه لعمله في الحانة اختبأ في غرفته حتى غادر الأب ثم أخبر أمه بكلمات مبهمة كان يقطعها الكثير من الشهقات الباكية بعد أن رافقته أمه صباحًا إلى المدرسة فهم الحكاية خلال استراحة أمس ذلك اليوم رمى أحدهم حجرًا صغيرًا تجاه المعلمين فأصاب جبهة إحدى المعلمات حين رفع أحد المعلمين بصره يبحث عن الفاعل وجد جوادًا يحاول الاختباء خلف تجمع للتلميذات استنبط المعلم بيسر أن ذلك التلميذ المختبئ هو الفاعل حتمًا فأُخذ الصغير وعوقب بصفعتين مذلتين أمام الملأ ثم أُرسل إلى بيته فقط بعد ذلك

ذهب تلميذ آخر مرتجفًا إلى المعلمة وأخبرها عن الطفل الذي رمى عليها الحجر سيعود جواد لمواصلة دراسته لكنه لن يكون بعد ذلك الطفل نفسه لقد اكتسب الآن بسبب التبول لقبًا جديدًا سيلتصق به لأسابيع طويلة وأشهرًا كما اكتسب عاهة في الكلام ستبقى معه طيلة سنوات طفولته ومراهقته وجزءًا من سنوات شبابه ولن تختفي أبدًا بالكامل بعد ذلك. تدفقت كتلة لزجة من الصارية. ماما لمن تركتِني وحيدًا وحميدة تراها بين ذراعَيْ أي رجل الآن ومن أين جاء هذا الضباب الذي يغطي عيني؟ كنت في حصة اللغة الفرنسية وكان دوري لأقرأ فقرة من نص القراءة لم أستوعب ما حصل لي يومذاك كيف تعذر عليّ القراءة كما كنت أقرأ دومًا خرج الكلام مبعثرًا متقطعًا لم أستطع نطق كلمتين متتابعتين أطبق الصمت على الفصل احمر وجهي واشتعل نارًا لم يعلق المعلم بشيء ولم يسخر الرفاق آنذاك الأطفال لا يسخرون من شيء لا يفهمونه ستأتي السخرية لاحقًا حين يخرج الأطفال من شرنقة الملائكة ويرفرفون بأجنحة الشياطين دخلت رفقة والدي للقاء إمام مسجد الحي أفصح الأب للفقيه عن مشكلة الصبي قال الفقيه بكل ثقة إن الطفل مسكون بالجن وهو بعون الله سيخرجه قرفص الفقيه وتنحنح بدأ بالفاتحة وأتبعها بآية الكرسي ثم المعوذتين وبعدها انطلق يتلو سورة البقرة كاملة تيبست عجيزتي ورجلي ولاحظت تململ والدي مرت ساعة وسأل الفقيه إن كنت شعرت بتنميل في أصابع قدمي طبعًا شعرت بالتنميل بل حتى النمل لو جلس كمثل جلستي تلك طيلة تلك المدة لأصابه التنمل صاح الفقيه منتصرًا والتفت إلى والدي هذه علامة طيبة إن شاء الله هذا يعني أن الجن الذي

كان يسكن ولدك قد خرج مدحورًا نظر والدي نحوي وسأل الفقيه هل شفي الآن أومأ الفقيه إن شاء الله لكن ليس دفعة واحدة الجن الذي كان يعيق كلامه قد خرج كل المطلوب الآن أن يقرأ الصبي القرآن كل يوم حتى يتحرر لسانه تمامًا رفع الفقيه سبابته قريبًا من وجه الأب والأهم أذكرك لابد من قراءة سورة البقرة كاملة مرة واحدة على الأقل كل أسبوع حتى لا تدخل الشياطين إلى بيتكم البيت الذي لا تقرأ فيه البقرة يصبح مقبرة تسكنها الشياطين مد الأب يده وفيها ورقة نقدية يصافح الفقيه صافح الفقيه والدي بحماس وحين سحب يده سحب معه الورقة النقدية وقال كان في حينا هذا طفل وضعه أصعب من ولدك لم يكن يخرج كلمة واحدة سليمة لكنه الآن ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله لا أحد يضاهيه فصاحة بدأت أقوم غير أن الفقيه استدرك وتوجه بسؤال إليّ هل يدرسك معلم أم معلمة قلت معلمة وسأل بلهفة هل هي محجبة حركت رأسي نافيًا امتعض الفقيه وزم شفتيه عليك أن تغيرها توجه بكلامه إلى الأب اطلب نقله إلى فصل آخر يدرسه معلم أو معلمة محجبة حاضر قال والدي بسرعة ليتخلص من الفقيه ليس إلا لم ينوِ حقًّا قال لي لاحقًا تلبية ذلك الاقتراح لا وقت لديه لهذا الهراء. أراك تبتسم خلف عين السايكلوب البليدة. تبًّا لك أيها الطّطّبّيب الفاشل. ابتسم كما تشاء الورقة أمامي وسأكتب ما أشاء.

كان الوقت نهارًا وكان وسط حشد التلاميذ في مدرسته الابتدائية. كان يدرس في السنة الخامسة أو لعلها الرابعة. لا يذكر بدقة. كان يلعب مع زملائه خلال استراحة العصر لعبة الاستغماية في ساحة المدرسة. كان مختبئًا خلف دائرة من الفتيات يلعبن إحدى لعبهن الخاصة حين أطبقت عليه

يد ضخمة. رفعته اليمنى من عنقه وهوت عليه اليسرى بصفعة تتواضع أمام قوتها مطرقة ثُور بن أودين. بُهت جواد الصغير ولم يفهم شيئًا. لم يستطع البكاء. خوفًا ربما أو على الأرجح ذهولًا. جرته يد المعلم إلى تجمع للمعلمين يواسون معلمة تبكي. دفع المعلم جوادًا ونطق بكلمة السر. هذا هو الفاعل. كفكفت المعلمة دموعها وأرسلت كف يمناها بكل ما لديها من قوة إلى وجه جواد. تقهقر من قوة الصفعة واختل توازنه. تلقفت الأرض ظهره واحتضنته. تكَوَّر جواد على نفسه وبدأ الجسم يحرر نفسه من ثقل الفضلات فشرّعت المثانة أبوابها وبلل جواد الصغير نفسه. لم يفهم آنذاك شيئًا عن هذا العقاب المجاني. سيطلب منه المدير إحضار والده. عاد جواد إلى البيت منكسرًا. أخبر أمه بكلمات مبهمة كان يقطعها الكثير من الشهقات الباكية. بعد أن رافقته أمه صباحًا إلى المدرسة فهم الحكاية. خلال استراحة أمس ذلك اليوم رمى أحدهم حجرًا صغيرًا تجاه المعلمين فأصاب جبهة إحدى المعلمات. حين رفع أحد المعلمين بصره يبحث عن الفاعل وجد جوادًا يحاول الاختباء خلف تجمع للتلميذات. اعتقد المعلم أن ذلك التلميذ المختبئ هو الفاعل حتمًا فأُخذ الصغير وعوقب بصفعتين مذلتين أمام الملأ ثم أُرسل إلى بيته. لاحقًا سيذهب تلميذ آخر إلى المعلمة ليخبرها عن الطفل الذي

رمى عليها الحجر. سيعود جواد لمواصلة دراسته لكنه لن يكون بعد ذلك الطفل نفسه لقد اكتسب الآن بسبب التبول لقبًا جديدًا سيلتصق به لأسابيع طويلة وأشهرًا كما اكتسب عاهة في الكلام ستبقى معه طيلة سنوات طفولته ومراهقته وجزءًا من سنوات شبابه ولن تختفي أبدًا بالكامل بعد ذلك.

انزلقت دمعة حزينة من جانبَيْ عينَيْ جواد وسحب بصره عن النافذة التي صارت ثقبًا أسود يجذب ويستخرج بلا هوادة ذكرياته من أعماقه رغمًا عنه. أغمض عينيه وضغط جفنيه بقوة بضع دقائق ثم فتحهما مجددًا. عاد يلتفت بنصف استدارة من رأسه إلى زوجته. ثم رفع رأسه إلى ساعة والدته العتيقة على الحائط. تشير الساعة إلى السادسة والنصف. مرت ثلاثون دقيقة مذ فتح عينيه من الكابوس ولا يعرف كيف مرت نصف ساعة بهذه السرعة. حان موعد استيقاظه. اليوم هو الإثنين. إنه الأسبوع الأخير من العام الدراسي وعليه تجهيز تلاميذه لامتحانات الشهادة الابتدائية. تلاميذ المستوى السادس. عليه أن ينهض الآن من الفراش ليكون في المدرسة قبل التقاء عقربَي الساعة الثامنة. تنهد. تمنى لو أنه لم يكن مضطرًّا للاستيقاظ مبكرًا كل يوم للذهاب كل يوم إلى فصل دراسي يغدو فرنا تحت قيظ حرارة العصر وحجرة تعذيب شتاءً بالبرودة التي تتسلل إلى الأقدام من الأرض والنوافذ الخشبية التي لا تكف الرياح عن اللهو بها لتضيف طقطقتها إلى عوائها هي ذاتها.

تمنى لو أنه لم يكن مضطرًّا للذهاب كل يوم إلى فصل دراسي ليؤدي حركات خرقاء أمام أطفال يشعر أمامهم بالغباء. يُشعرونه بالغباء لأنه يجد نفسه عاجزًا عن أن يطبع أي أثر إيجابي في عقولهم لكنه لا يعرف بعد سنوات في هذه الوظيفة ما إذا كان العيب فيه هو لغياب مقومات التلقين والتعليم والتواصل والتوصيل لديه أم العيب في التلاميذ الذين كان صديقه إدريس يتساءل دومًا بخصوصهم حول ما إذا كان آباؤهم يطعمونهم مما تُنبت الأرض أم يطعمونهم مما يفيض من الجسد. يعتبر جوادُ إدريسَ الصديق الأقرب إلى قلبه. هو الآخر كان معلمًا لكن ست سنوات من العزلة خلف ثلوج قرية باب برّد على تخوم مدينة الحسيمة دفعته لرشوة طبيب في المستشفى الإقليمي للأمراض النفسية ليحصل على شهادة إعفاء من الخدمة لمدة سنة بدعوى عدم اتزانه العقلي ثم أتبعها في العام التالي بشهادات مرضية واحدة تلو الأخرى مع غيابات متعمدة غير مبررة إلى أن شطبته الوزارة من الوظيفة. ذلك الطبيب اللعين لو أجده أمامي الآن سأقضم رقبته. تجربته الطبية اللعينة. حميدة اللعينة. أمي. السرطان. القبر. الدود. سينخرك ذاك الدود أيها طّطّ الطّبيب كما سيفعل مع حميدة. هل تسمعني أيها اللعّعّعّين؟ ها أنا أقرّب قلم التسجيل إلى فمي لتسمعني بوضوح. عليك اللعععععع عليّ اللعنة عليك اللعنة. Fuck Shag Shaft FFFFFuck Fuck.

رغم أنه اختار مصيره بنفسه فإنه في داخله كان ينازعه شيء من الحقد تجاه الذين تحملوا وصبروا على وظيفة التعليم بكل متاعبها ومحدودية العائد منها. البشمرگة. كان إدريس يقول مستهزئًا من تجمع المعلمين الذين يلتقون في مقهى كلاريدج وجواد صار أحدهم. تعني البشمرگة في اللغة الكردية تحدي الموت. حرفيًّا. وهي وإن كانت اسمًا للمقاتلين ~~الأكراد الكُرد~~ الكُورد منذ العهد العثماني فإن الكلمة تُطلق عمومًا على كل إنسان يعمل بنكران الذات مضحيًا بنفسه لأجل حقوق شعبه وحريته. يستهزئ إدريس من محاربة زملائه لطواحين الهواء. يقول بأنه لا أمل في إصلاح التعليم في هذه المملكة السعيدة. إنه محض هباء ما يقومون به. البنية التحتية للمدارس مهترئة. يقول إدريس. المقررات الدراسية صارت سلعة لدى تجمع سماسرة المطابع ومفتشي وزارة التربية والتعليم. الوضع الاعتباري للمعلم في المجتمع تبخر. الرواتب متدنية. مستوى التلاميذ يتدهور سنة بعد سنة كأن الآباء يطعمون أبناءهم الخراء وليس الطعام. إنه العبث ما تقومون به يا أصحاب. كان يبدو أحيانًا كأنه سانشو يحاول عبثًا إثناء سيده دون كيشوت عن محاربة طواحين الهواء التي يتخيلها فرسانًا يبارزونه ولعله كان هو كيشوت ذاته دون أن يعلم.

كانوا يسخرون منه لكنهم في أعماقهم كانوا يحترمونه. يعرفون أنه كان بإمكانه كما كثيرين تقديم بضع ~~رشاوٍ~~ رشًا هنا وهناك وكان سيتحول إلى موظف شبح. موظف يحصل على كامل مرتبه الشهري دون أن يخطو خطوة إلى مكان عمله. بل جاءه عرض مباشر بذلك من أحد مُسيِّري مكتب النقابة التابعة ~~لحزب يَدَّعي العدالة والتنمية~~ لأحد الأحزاب يعرض عليه مساعدته مقابل مبلغ معلوم. إلا أنه ما إن كره الوظيفة حتى قام بكل ما يمكن القيام به لدفع الوزارة لفصله. جنون الصحافة. أحلام المراهقة. أكوام من الكتب على المكتب. أكوام النسخ غير المبيعة من مجلة طنجة الأدبية أسفل المكتب. مغامرة فاشلة كانت. كانت جنونًا. أحلامًا صبيانية وطموحات غبية. فعلًا كنا نحارب الطواحين ليس إلا. انطفأ مصباح قلمك الفاشل مثلك ولم يعد هذه المرة إلا بعد أن جرحت يدي خطأً وأنا أحاول تشغيله. هل كان يحتاج لنقطة دمي تلك قبل أن يعود للعمل؟ كل شيء محتمل منك يا ألعن طبيب عرفت. *ما زال صبيب السحب ينهمر وظلام الغيم يفرض نفسه على الحجرة. لكن لا حاجة لجواد لينير المصباح. الضوء الشحيح والباهت الذي يأتي من مصابيح الشارع يكفي ولا يريد أن يتسبب الضوء المباغت بإيقاظ الطفلة الصغيرة. هي*

حساسة للضوء أكثر مما هي حساسة للأصوات المرتفعة. التفت جواد إلى المنضدة الصغيرة المجاورة للفراش على يمينه ونظر حزينًا إلى المغلف الأصفر الثقيل الذي لم يجرؤ بعد على فتحه والاطلاع عليه. هي رزمة أوراق سميكة مررها إليه أخو إدريس بعد الجنازة وقال بأنها تُركت له. آثار فتح المغلف وإعادة لصقه واضحة. طبعًا ذوو الحقوق الطامعون في ذرة من الإرث لن يتركوا مغلفًا مغلقًا يمر تحت أعينهم قبل التحقق أنه لا يمثل أي فائدة لهم. رفضُ إدريس التحول إلى موظف شبح كانت نقطة كافية لجواد ليغفر لإدريس كل أخطائه السابقة واللاحقة. على عكس صديق طفولته الوحيد عبد الكريم الترغي. يراجع جواد نفسه. صديق طفولته كان ياسين العمراني الذي رافقه طيلة السنوات الست لمرحلة الدراسة الابتدائية وطيلة نزق الطفولة. لكنه اختفى فجأة بعد أشهر قليلة من وفاة والدته. قبل الاختفاء انقطع ياسين عن الدراسة وبدأ العمل صبي معلم في فرن بلدي. دعني أقرب القلم أكثر لتسمعني أيها الطبببالطبيب اللعّعّين. سؤال مهني. أخبرني ما وجه العلاقة بين وفاة الأم وخروج أبنائها للعمل رغم وجود أبيهم على قيد الحياة وما زال يعمل والأم أصلًا لم تكن تعمل؟ رأيت الأمر أكثر من مرة. مثلًا مع البكر من ذكور

خالتي التي ما إن تُوفِّيت حتى انقطع أبناؤها الثلاثة عن الدراسة وذهب الولد البكر ليعمل صبيًّا في ورشة لإصلاح السيارات. أخبرني أيها الطبيب إن كنت تعرف حقًّا شيئًا ولعلك كما حميدة التي لا تعرف أبعد من الدغل الكثيف بين ساقيها أنت الآخر لا تعرف أكثر من توقيع الشهادات الطبية المزورة وخداع المرضى بأدوية تجريبية قاتلة.

~~*بقي جواد يزور ياسين على فترات متباعدة إلى أن جاء يوم ولم يجده في الفرن. لم يجده في البيت. ووجد محل الحلاقة الذي يشغله والده مقفلاً. علم لاحقًا أن الأب جمع أبناءه وعاد إلى قريتهم في الحسيمة. لم يستوعب عقل الصبي جواد شيئًا من ذلك. مستقبلاً حين كانت تعود إليه ذكريات الطفولة كان يتذكر أن عائلة ياسين كانت تسكن في بيت عائلة أمه. ويبدو أن أخواله لم يرغبوا ببقاء زوج أختهم في بيتهم. في مرحلة الدراسة الإعدادية تلك حين اختفى ياسين ظهر عبد الكريم. كان التشابه كبيرًا بين ياسين وعبد الكريم. من الخارج كما الداخل. لذلك لم يجد جواد المنعزل بطبيعته صعوبة في التجاوب مع عبد الكريم. بعد ثلاث سنوات تيتم عبد الكريم حين مات والده في الحمام مخنوقًا بغاز البوتان المتسرب من سخان المياه. تزوجت والدته مباشرة بعد أشهر العدة وانتقل ابنها الوحيد*~~

~~ليعيش مع عمه بعيدًا عن جواد. بقيت صداقتهما قائمة لكن لقاءاتهما تباعدت حتى انقطعت بعد شهادة الباكالوريا. آنذاك علم جواد أن عم عبد الكريم توسط له وقدم ما يلزم من هدايا ليحصل ابن أخيه على وظيفة في مكتب الحالة المدنية في قرية صغيرة خارج طنجة. كان عبد الكريم موظفًا شبحًا لم يخطُ خطوة داخل مكتب عمله وكل وقته يقضيه في متجر عمه لبيع الأقمشة. كان العم عاقرًا واعتبر ابن أخيه ابنًا له. كره جوادٌ عبد الكريم حين علم عنه ذلك وندم على سنوات الصداقة التي جمعتهما. حين رأى أن إدريس تجاهل الفرصة التي كانت بين يديه ليصير موظفًا شبحًا وفضل أن يُطرد من الوظيفة كبُر في عينه وزاد احترامه له. (حشو زائد. حذف. حذف. حذف.)~~ *يعرف زملاء إدريس جوهره الطيب لذلك يتغاضون جميعهم عن سلاطة لسانه. جميعهم إلا صديقهم كريم الأزرق. شعر جواد بثقل ذكريات إدريس يستنزف ما بقي لديه من طاقـــ*(أما أنا فدفقة مفاجئة من حمم البركان المتفجر تمنحني الآن وقتًا نادرًا من الصفاء الذهني لأكتب رواية أفضل من محمد سعيد لن يجود الزمن بمثلها)ـــة. *لا قدرة لديه على النهوض والبلل بين ساقيه الذي كان دافئًا صار الآن باردًا لزجًا. تنهد بعمق مرة أخرى ومرة أخرى تمنى لو أنه لم يكن مضطرًّا للاستيقاظ مبكرًا كل يوم.* ~~*ليس*~~

~~من العدل أن يستيقظ المرء مبكرًا وهو في الغالب يكون قد عاد متأخرًا من عمله في آخر النهار. هذا الاستيقاظ المبكر كل يوم لا شك يصيب الشخص بالبلادة وانعدام التركيز. على الإنسان أن يحصل على قسطه الوافر الكافي من النوم وإلا سيغدو كأنه زومبي أو آلة ميكانيكية صدئة المفاصل. هذا ما يراه جواد كل صباح في الفصل الدراسي. على كراسي الطاولات أمامه يجلس جيش من الموتى الأحياء. ذاك ما يراه قبل ذلك كل صباح في الحافلة. عشرات الرؤوس المنكسة على صدور أصحابها وعيون منتفخة وجفون محمرة اللون. ذاك ما يراه كل صباح من نافذة الحافلة. سيول من السائرين نيامًا تتدفق عبر الشوارع والأزقة.~~ (إلغاء التشطيب السابق. لا ضرر من الحفاظ على تلك الجمل.) ~~فوق ذلك~~ الأسوأ من ذلك كان مدير المدرسة يمقته. يكرهه. يبدو مستعدًا دومًا لأن يهجم عليه ليقضم حنجرته ويأكل كبده نيئًا ثم يرقص دائرًا حول جثته ويمكن أن يتمادى ويعوي في وجه القمر. لم تكن العلاقة طيبة بينهما منذ البداية. يصر المدير على عدم صلاحية جواد للتدريس بسبب لسانه الثقيل والتلعثم في الكلام الذي يبدو واضحًا جدًّا كلما انفعل. لكنها ساءت كثيرًا. ساءت دفعة واحدة وتضخمت كراهية المدير له يوم التقت نظراتهما في السوق. كان المدير قد ملأ كيسًا من التفاح

وسلمه إلى البائع ليزنه. حين مد البائع يده ورفع رأسه التقت عيناه بعينَي المدير فأصاب الحرج جوادًا وأصابت الدهشة المدير الذي لم يكن قد انتبه لجواد قبل أن ينظر إلى وجهه بسبب لباسه المختلف عن لباس المدرسة وقبعة الرأس التي تحميه من الشمس. أفلت المدير الكيس من يده واستدار صامتًا. مصدومًا لا شك. خلفه تناثرت حبات التفاح وتدحرجت.

كافكا في طنجة. اسمع أيها الطّطّبيب ماذا كتب محمد سعيد عن مدير جواد.

(تلك أمنيته هو، وأنا لا أنوي أن أحقق لهذا البطل كل ما يشتهيه. الحكاية تبقى حكايتي. نعم، نعم. يفترض ألا أتدخل في الوقائع وأكتفي بالسرد بعيدًا دون أن أحشر نفسي في التفاصيل كلها. لكن لو فكرتم في الأمر ستجدون بأن الخيال يتدخل بضراوة في تشكيل الواقع؛ الحاضر والمستقبل وحتى الماضي. لذلك لن أتحرج من التدخل مباشرة، بين وقت وآخر، لدفع الأحداث نحو مسار معين. مثلًا سأزور أحلام مدير المدرسة، الآن قبل أن يستيقظ، وسأستثير دماغه بأحلام تدفع عصبوناته لتشكيل ذكريات زائفة عن ذلك المعلم متجهم الملامح متهدل الكتفين الذي يشمئز منه بسبب إهانته لمهنة التعليم المحترمة بالعمل المسائي الذي يزاوله في السوق. المدير يكره هذا المعلم منذ زمن. كل ما سأفعله هو قدح تلك الكراهية النائمة بمشاهد زائفة تتعلق بالمعلم وزوجة المدير ستدفع المدير للاستيقاظ مذعورًا وركوب أمواج غضبه قادمًا إلى بيت المعلم. لن أحتاج إلى أي تفاصيل أخرى. الغضب سيأتي بالمدير دون

أن يسمح له بالتفكير في أي شيء آخر، وبمجرد ما سيرى المسخ الذي صاره المعلم سيبتسم بنشوة وسيتخذ الإجراءات الإدارية لحذف اسم المعلم من سلم الوظيفة العمومية وإيقاف راتبه فورًا... طلب المدير رؤية المعلم فاعتذر الأب مؤكدًا أن ابنه مريض مرضًا مُعْديًا وليس من مصلحة أحد رؤيته. أصر المدير واحتد جداله مع الأب واشتدت حدة غضبه ثم دفع الباب وخطا نحو الصالة وتوقف مبهوتًا أمام بياض زوجة المعلم. فقط في تلك اللحظة، المتأخرة، انتبه الجميع إلى أن الزوجة الجالسة وسطهم بلباس نومها تبدو شبه عارية، فعوى المعلم ساخطًا وقام متغلبًا على وخز التنميل، حمل الملاءة، فتح الباب بقوة كادت تخلع مفاصله، اقتحم الصالة ورمى الملاءة على زوجته. تحول المدير بنظراته المخطوفة نحو الحيوان المشعر المشوه الوجه الذي اقتحم الصالة، وحين تملى في وجهه صرخ. لم يصرخ رعبًا. صرخ نشوة وفرحًا، واستدار على عقبيه خارجًا يهرول. اعترض الأب طريق المدير راجيًا إياه ومستجيرًا بكل عزيز لديه ألا يخبر أحدًا باللعنة التي نزلت على الابن. نظر المدير باشمئزاز إلى الأب واستدار إلى الابن ورمقه بنظرة انتصار ثم دفع الأب وقفز خارج الشقة.)

لم يكن المدير يعلم أن جوادًا يبيع الخضر والفواكه في المساءات التي لا يعود فيها متعبًا من المدرسة لتحسين دخل الأسرة التي هو عائلها الوحيد. حين علم ذلك صار يمقته أكثر. صار يعتبره متطفلًا على مهنة التعليم يسيء إلى المهنة النبيلة وإلى كل المعلمين. رفع جواد رأسه إلى الساعة. كانت تشير الآن إلى السابعة إلا ربعًا وعقاربها لا تفتر عن التقدم

إلى الأمام. ضاعت منه ربع ساعة هي المدة اللازمة لتجهيز ولتناول وجبة الفطور. لو نهض الآن سيلحق بالحافلة لكن عليه الإسراع وتجاهل تناول الفطور. إلا أنه لا يشعر بأي نشاط ولا يجد في جسده أي طاقة أو حيوية للتحرك. عليه قبل ذلك أن يستحمَّ من أثر مطر مثانته. التفت إلى هاتفه وفكر بمهاتفة المدير ليسجل نفسه مريضًا. لم يتغيب جواد طيلة خمس سنوات ولو يومًا واحدًا. حتى حين كان الزكام يتمكن منه كان يذهب. حتى حين كانت الحمى تتمكن منه كان يذهب. لم يتغيب من قبل يومًا واحدًا وليس سهلًا أن يتغيب اليوم. أو لعله لا يملك الشجاعة لمهاتفة المدير ومواجهة غضبه خلال هذه الفترة الحرجة من نهاية العام الدراسي. دقت الساعة لحظتها تكةً تشير إلى تمام السابعة صباحًا وما زال جواد منشغلًا بهواجسه يكافح تحت أمواج أفكاره الهائجة. باغته التقدم الحثيث للساعة فأزمع أخيرًا أن يقوم. قرر أن ينهض. بهدوء ودون إزعاج. لا يريد أن يثير غضب المرأة النائمة بجانبه التي صار يحلو لها الاستيقاظ بعد أن يقترب الظهر منذ فصلها المستشفى من وظيفتها ممرضةً ثم صارت تقضي كل المساءات وجزءًا من الليل في خدمات التمريض في البيوت. أو هذا ما كانت تدعيه فهي لم تشارك جوادًا يومًا نصيبًا من مرتبها

وهو لم يشغل نفسه بالتحقق مما إذا كانت تعمل أم تتسكع في الشوارع هاربة منه ومن رعاية طفلتهما. لكن الذاكرة ما إن انفتح عنها الغطاء حتى أصرت أن ترمي جوادًا بصديد قيحها بشكل متلاحق. يُعتبر كريم حالة شاذة ضمن مجموعة رجال التعليم زملاء إدريس وجواد. هو أقلهم اهتمامًا بوظيفته وأكثرهم لهوًا وعبثًا. في النهار يلاحق مؤخرات النساء من أول شارع باستور وحتى نهاية شارع محمد الخامس نزولًا ثم صعودًا وفي المساء يضلل رؤوس زملائه في المقهى بسُحُب سجائره التي يحرق الواحدة منها تلو الأخرى يعض عليها بمقت وينفث دخانها بغِلٍّ وما بين كل سيجارة وأخرى تشرد عيناه ويثير موضوعًا من موضوعاته المحببة للنقاش وهي مواضيع لا تبتعد عن الجنس الذي يتلمَّظ دومًا بالحديث عنه. اطلبوا الثقب من المهد إلى اللحد. كانت عبارته الأثيرة التي يدمن تكرارها بمناسبة ودون مناسبة. أحيانًا كان يأتي شبه مخمور ويقفز من موضوع إلى آخر يدبِّجه غالبًا بعبارة العلمانية هي الحل. لم تكن أحاديثه تثير نقاشات حقيقية بقدر ما تثير حفيظة البعض وينشغل الجميع في المناوشات الهامشية بعيدًا عن صلب الموضوع. أما ليلًا فيعربد في الحانات إلى ما بعد منتصف الليل ويعود دائمًا إلى بيته متعتع السُّكْر.

يعرف أصدقاؤه أن زوجته هربت منه بسبب نمط حياته المعربد هذا لكنهم لا يعلمون ودائمًا يسألونه دون جواب منه كيف يجد الوقت والنشاط لأداء حصصه في المدرسة وكيف يراجع مع تلاميذه ومتى يصحح لهم الامتحانات. هي أيضًا معلمة. حصلت على شهادة الماستر فنالت ترقية تلقائية وارتفعت درجتها الوظيفية وراتبها الشهري دونما وجود أي رابط بين تخصص الماستر وما تدرسه للتلاميذ. زيادة الراتب شجعها على ترك كريم وتأجير شقة لها وحدها. تعقيدات إجراءات الطلاق في المحكمة لم تشجع أيًّا منهما على دخول تلك المتاهة. راتبها يكفيها لحياة من الرفاه وليس صعبًا إيجاد الذكور لإشباع رغبتها حين تحتاج لذلك وحتى كريم ينفع لتلك المهمة حين تجمع بينهما لحظة صفاء نادرة تقودهما إلى معركة شبقية حامية. هذا ما يصرح به كريم نفسه حين يتعتعه السكر لكنه كان دائمًا يغضب وينتفض ويغادر المقهى حين يُلمح أحدهم إلى موضوع زوجته وهو في كامل وعيه.

جانب آخر من جوانب شغف كريم بعد الجنس هو الصحافة وذلك ما جمعه بإدريس أولًا ثم فرقه عنه لاحقًا. يصر كريم ويفاخر جهرًا وعلنًا بأنه صاحب الفضل الأوحد

في دخول إدريس عالم الصحافة وجواد يعرف من إدريس أن الادعاء هذا لا أساس له من الصحة. هو من عَرَّفه إلى صحفيِّي المدينة وأصحاب الجرائد المحلية وشجعهم على احتضان ونشر مقالات وقصائد إدريس. لذلك لم يغفر أبدًا لإدريس حين توجه إلى جواد عوضًا عنه ليستعين به في مشروعه الصحفي الخاص. كان إدريس يُسِرُّ لبعض البشمركة أنه شاكر لكريم التوسط له عند أصحاب الجرائد لينشروا له لكنه لن يستطيع أن يغفر له تلك المرة التي ورطه فيها كريم في تحقيق صحفي مشترك كان غطاءً لقضية ابتزاز كادت تؤدي بهما معًا إلى سنوات في السجن لولا لطف الله. في الحقيقة كان إدريس محظوظا بقطع علاقته مع كريم الذي سرعان ما تورط رفقة إحدى عشيقاته المتزوجات بابتزاز رجل أعمال وانتهى الأمر بهما لقضاء ثلاثة أشهر في سجن سات فيلاج في طنجة. بشكلٍ ما لم يؤثر السجن على السجل الوظيفي لكريم بل حصل بعده مباشرة على إعارة للتدريس في مدرسة البعثة الفرنسية. راتب إضافي على راتبه الأصلي وساعات عمل أقل. حين فكر إدريس في لحظات حماس وأمل مفاجئة بتأسيس مجلة أدبية جاء رأسًا إلى جواد وعرض عليه مشاركته في التحرير وفي رأس المال. لم يكن لدى جواد درهم واحد مُدَّخر فهو بالكاد أمضى بضعة

أشهر على تعيينه في الوظيفة. لكن الحل كان عند إدريس الذي شجعه أو بالأحرى أغواه وإن بحُسْن نية أن يلجأ إلى قرض بنكي. كان جواد حالمًا أكثر من إدريس لذلك لم يفكر طويلًا في المخاطر قبل أن يقدم طلبًا للحصول على قرض استهلاكي بضمان أجرته الشهرية. انفلتت دمعة ساخنة وانزلقت على خد جواد.

رفع جواد عينيه إلى الساعة. إنها تشير الآن إلى تمام الثامنة صباحًا. تأخر ولا رغبة لديه في أن يسجن نفسه اليوم في الفصل الدراسي. الاحتمال الأكبر أن أغلب تلاميذه سيتغيبون في هذا الصباح الممطر على غير توقع. تلك عادتهم الإجبارية متى ما أودعت السماء سيولها هذه الأرض غير المباركة. هذا سببٌ كافٍ لأكره فصل الشتاء. بضع قطرات تكفي لأن يفيض الماء وتمرح الضفادع في البرك الموحلة.

طبيعة إحساسه باللزوجة بين فخذيه بدأت تتغير. بزغت الفكرة بغتة في ذهنه فمد جواد يده تحت الملاءة وارتسمت الدهشة على وجهه مما نقلته إلى دماغه أعصاب أنامله. لم يكن بلل المثانة. بل شيئًا آخر. ارتباك الحلم دفعه دفعًا نحو إحساس خطأ في البداية. الآن لا يصدق كيف يمكن

أن يحتلم وهو أسير كابوس مزعج لا يحمل أي ذرة من الإغراء. التفت إلى زوجته وفكر أنه ليس بحاجة لأي حلم شبقي ليحتلم. الأمر ببساطة أن خصيته محتقنة بثقل مائها الذي لا يجد منفذًا إلا أن يتدفق ليلًا متخفيًا تحت ستارة الأحلام كيفما كانت طبيعتها. رفضته سارة منذ الأسابيع الأولى من حملها الثاني ولم تسمح له بالاقتراب منها بعد ذلك. يتذكر جواد أنها فترة تجاوزت السنتين من الحرمان. فكر ذات مرة في لحظة ضعف أن يلتقط امرأة من الشارع. لكنه لم يفعل سوى أن تقيأ على سرير الفندق حين خرجت إليه المومس من الحمام عارية وعف النساء بعد ذلك. قبل تلك المرة أُتيح له إغراء الخيانة بين ذراعَيْ امرأة أخرى لكنه اكتفى بالنوم على حجرها ورضيت هي أن تكتفي بكفكفة دموعه قبل أن تودعه صباحا بقبلة طويلة. كانت فدوى زميلته في المدرسة وكان المساء شتويًا أظلمته الغيوم السود. ربما لم تَرَهُ زميلته حقًا أو لعلها أرادت ممازحته ففقدت السيطرة. النتيجة أنها في طريق خروجها من المدرسة بسيارتها صدمت جواد. كانت الصدمة خفيفة لكنها دفعته وسقط على الأرض المبتلة الموحلة. تبلل كاملًا واسودَّت ملابسه بالطين ووجهه اسودَّ بالغضب لكنه لم يملك إلا أن يبتلع غضبه ويرسم ابتسامة باهتة

على وجهه في وجه فدوى حين خرجت تجري من السيارة وانحنت عليه هلعة. عرضت بعد أن اطمأنت عليه أن توصله إلى بيته ولم يكن جادًّا في رفضه. تأبطت ذراعه وسحبته إلى السيارة. تلفَّت حوله مرعوبًا ولم يتنفس الصُّعدَاء إلا بعد أن تأكد أن لا عيون في الجوار ترى زميلته تتأبط ذراعه وتأخذه إلى سيارتها. تغمز لي مرة أخرى يا عين السايكلوب كما كانت حميدة تفعل. كأنها من علمتك. لم أحب في الشتاء سوى تلك القبل المسروقة متخفيَّيْن تحت مظلة المطر. حميدة اللعينة كانت تشتهي أن ترقص عارية تحت المطر وما إن تشبع رغبتها من القبل المسروقة وسط الشارع حتى تطلب إغلاق المظلة لنواصل السير تحت المطر حتى نصل إلى شقة أختها مبتلين تمامًا. *ما كادت السيارة تنطلق حتى أحس جواد بثقل صلب بين فخذيه ورأى بطرف عينه اليسرى أن فدوى رأت إنعاظه. علت الحمرة وجهه وشعر بالحرج وبارتفاع حرارته. غطى حرجه بسعال مرتبك وانشغل بمراقبة الطريق من النافذة الجانبية. الأمر لا يستحق الحرج. قالت فدوى بصوت هادئ تمامًا وتابعت القيادة. لم يتبادلا أي كلمة أخرى إلى أن توقفت عند مدخل العمارة حيث تقطن. لم يكن جواد يفكر في شيء محدد كما أنه لم يشغل نفسه بالتفكير في غرابة ما يقوم به. خرج وتبع*

زميلته التي طالما كان قبل زواجه يسرق إليها نظرات خاطفة فيها شيء من الشبق المتبوع دومًا بالندم. في المصعد الضيق وجد وجهه قريبًا جدًّا من وجهها. نهداها النافران يكادان يلمسان صدره وحرارة الهواء الخارج من ثقبَيْ أنفها تلفح وجهه. توقف المصعد عند الطابق الثالث. خرجت فدوى أولًا وفي طريق خروجها داعبت أناملها ظهر كف جواد ومنحته ابتسامة مشجعة. شعر بصلابة الانتصاب تشتد وابتلع ريقه بصعوبة وهو يتأمل حدود تبانها المرتسم على عجيزتها المحجوزة تحت الجينز الضيق والظاهرة بجلاء تحت قميصها الطويل المسدل عليها والملتصق بها بسبب بلل الأمطار. خرج جواد من تحت الملاءة ونهض نحو نافذة الغرفة. توقف المطر وعاد ضياء الصباح ينفذ بإصرار من فتحات السحب التي بدأت تتفرق وتتلاشى. أطل على الشارع المبتل ثم شرّع النافذة لتأتيه دفقة من النسيم البارد ومعها رائحة التراب المبتل المميزة للسقوط الأول للمطر بعد غياب. يعشق تلك الرائحة كما يعشق كل الصباحات المبتلة بالأمطار الليلية. يتمنى لو أن الأمطار تهطل فقط ليلًا. يحب صوتها الذي يدغدغ نومه ويحب الشوارع النظيفة صباحًا وخفة الهواء النقي. أما الأمطار نهارًا فتزعجه بعواصفها التي تقلب المظلات وبالبلل الذي

لا مفر منه وبالقيود التي تفرضها على تحركاته. لتلك الأسباب ولأسباب أخرى يحب الخريف أكثر. ~~تأفف جواد~~ ~~والتفت~~ التفت إلى سارة النائمة. سحب نظراته قَسْرًا إلى طفلتها أمل ولم يستطع مقاومة شعور الحسرة وإحساس الظلم. عاد ينظر إلى ظهر زوجته وعض على شفته السفلى. نعم هو نادم على الزواج. اسمع يا طّطّطّــ هذه الفقرة من صفحات كافكا في طنجة. اشرح لي كيف يحدث مثل هذا التوارد الغريب للأفكار.

(لا يذكر متى ندم لأول مرة على زواجه، ولا متى اكتشف أن الزواج فخ اجتماعي يدفعك الجميع إليه دفعًا بسادية مفرطة حتى تعم المعاناة التي يخفيها كل من يكتشفها، عن بقية العُزَّاب، إلى أن يتورطوا بدورهم. لكنه على أي حال كان مضطرًّا للزواج بعد تلك الغلطة الشنيعة التي ارتكبها؛ بعد تلك النبتة الشيطانية التي زُرعت قبل الزواج.)

يتذكر جواد ارتباك الليلة الأولى. لم تكن ثمة ~~أي~~ قطرة دم. أقنع نفسه أن هذا هو الأصل غير أنه في كل لحظة ندم كان يفكر أن الأصل أن تنزل منها قطرات دم وإلا فإن كل الروايات كاذبة. بالتأكيد هو نادم على الزواج. على هذه الورطة التي يدفعك المجتمع إليها قسرًا. الأفضل أن تنزع ملابسك المبتلة وتستحم بماء دافئ حتى لا تمرض. قالت له

فدوى ما إن ولج شقتها وأرشدته إلى حمامها وأحضرت له منشفة وروب حمام. بدا جواد آنذاك كأنه مسلوب الإرادة متبلد الفكر أو كأن غيوم الشتاء لبَّدت وعيه وحجبت عنه المنطق السليم. أول ما فعله تحت مياه الدُّش الدافئة أن حرر نفسه من ثقل النعوظ بيده وتابع بعينيه ماءه تأخذه مياه الدش إلى حيث تأخذ أنابيب الصرف الصحي أوساخ أهل المدينة ثم تابع الوقوف دقائق أخرى تحت المياه المتدفقة قبل أن يحيط وسطه بالمنشفة دون أن يجفف نفسه ومتجاهلًا الروب المعلق خلف الباب خرج إلى فدوى المشتعلة شبقًا. رأى جواد سارة تفتح عينيها وتنظر إليه نظرات فارغة بعد أن غيرت وضعها على الفراش واستدارت لتواصل نومها على جنبها الأيسر. كانت فدوى تنتظر جوادًا على أَحَرِّ من الجمر بعد أن تخلصت من ملابسها واكتفت بقميص لا يغطي إلا قليلًا من فخذيها. ما إن خطا جواد خارج الحمام حتى قفزت نحوه وأحاطته بذراعيها وهجمت على شفتيه. تجولت يدا جواد على ظهر فدوى ونزلت إلى فخذيها. رفع القميص وأطبق يعتصر عجيزتها الرطبة. شعور من اللذة لم يشعره من قبل انتقل من ربلتيها الساخنتين إلى يده فتدفقت الدماء في عروقه وتسارعت دقات قلبه. أخذ نفسًا عميقًا وضغط إليه جسدها وأودع لسانه في فمها الجائع ثم

حملها فأحاطت وسطه بساقيها. سقطت عنه المنشفة وأحس بالتماسّ مع جرحها ~~المبتل~~ الرطب فسرت الرجفة في ظهره ورنَّت في أذنيه ضحكة طفلته الرضيعة أمل. تأوه جواد متألمًا وحرر جسده من ساقَيْ فدوى الملتفتين على وسطه وتقهقر بظهره إلى الحائط وانزلق عليه حتى جلس على الأرض وترك عينيه تذرفان سيولًا من الدمع وحلقه يُصدر أصوات نشيج طفولية. عادت فدوى إلى الخلف خطوة ورأى جواد من تحت ضباب دموعه الحزن يرتسم على قسمات وجهها ورآها تحمل المنشفة وتحيط بها وسطه بعد أن حملته من تحت ذراعيه ورآها تسحبه إلى الأريكة وتجلسه وتضع رأسه على صدرها. ~~(جملة غير مقنعة. تحتاج لإعادة صياغة أو الحذف. حذف. حذف. حذف.)~~ لا يعرف متى تغلب عليه النوم. حين فتح عينيه كان ضوء الصباح يغمر الشقة. كان رأسه على حجر فدوى وكانت فدوى تنظر إليه مبتسمة. نهض متحرجًا وحاول البحث عن كلمات اعتذار أو شيء من قبيل ذلك لكن التلعثم سلسل لسانه. قامت فدوى ووضعت سبابتها على شفتيه وحركت رأسها يمينًا ويسارًا. أعتقد أن ملابسك قد جفت الآن. يمكنك ارتداؤها ريثما أجهز الفطور. قالت له فأومأ لها. لكنه ما إن ارتدى ملابسه حتى فضَّل المغادرة. من أين سيأتي بشهية

للطعام. عند الباب وقف مودعًا ووقفت فدوى أمامه. كان الصمت ثالثهما والحرج رابعهما إلى أن طردتهما فدوى حين تقدمت خطوة إلى الأمام وأطبقت على شفتَيْ جواد بقبلة طويلة لم يستطع جواد التجاوب معها لكنه أيضًا لم يرفضها. افترقا يومذاك وبعد ذلك ما عادت نظراتهما تتقاطع في المدرسة وما عادا يتبادلان أي كلمة. حين خرج من شقتها سمع فدوى تقول أحبك أو لعله تخيل ذلك. انحنى جواد على مهد الرضيعة أمل وقَبَّل جبهتها. غمغم بدعاء خافت أن يحفظها الله ثم حمل المغلف الذي تركه له إدريس ووضعه في حقيبة أوراقه وجهز ملابس الخروج قبل أن يذهب ليستحم. يعود الحيوان وتعود الصارية المنتصبة ويعود الألم المفجع. نهاية العصر وبداية الغروب. يبدو الفصل الأول من الرواية مكتملًا الآن لكن لا فكرة لديَّ كيف سأكمل. الحيوان اللعين يعض بضراوة ويسلبني نشوة الحكاية التي كتبت. لا حل له إلا ثقب ما.

نعم ثقب ما. لا أملك إلا ورقة نقدية طينية اللون نجت من يدك أيها الطّطّبيب الطماع. أحمل مفكرتي الصغيرة. لا تقلق سأحمل معي قلمك الملعون. لن أحرمك من متعة مرافقة أفكاري.

أقفز درجات السلم. المسافة من حي فال فلوري إلى نهاية شارع محمد الخامس ليست قصيرة. لا يمكنني تبذير الدريهمات القليلة على سيارة أجرة. أمشي بخطوات سريعة. الأرداف السمينة والإليات المترجرجة والخصور الراقصة والنهود النافرة والسراويل المشدودة التي تخترق الشفرين. الحيوان يعض بقسوة أكبر هذه المرة. مؤلم. مع حميدة لم يكن شيء من هذا يزعجني. لم أكن أرى إلا لمحات سريعة لا تفعل إلا أن تُذكِّرني ببياض حميدة الفاتنة. اللعععنة. الحيوان اللعين يَعضُّ بقسوة مفرطة. اهتزازات عصبية وحِكة رهيبة. شارع مكسيك التجاري مزدحم. لا أعرف إذا ما كانت النسوة هنا يأتين للتسوق أم للاستمتاع باحتكاكات نهودهن بالظهور أمامهن واحتكاك مؤخراتهن بالأفخاذ خلفهن. الجلابيب التي كانت رمزًا للحشمة صارت الآن نوعين لا ثالث لهما. نوع ضيق جدًّا يخنق الجسد وينحت التضاريس ببراعة لا شك سيبكي أمامها مايكل أنجلو عجزًا ونوع قصير فَضْفَاض بفتحة على الجانبين تصل إلى أعلى الركبة وتكشف باطن الفخذ المقابل عند المشي. أمام هذه الجلابيب ستلملم مارلين مونرو فساتينها وتعتزل أدوار الإغراء. العاهرات. التفتت إليَّ إحداهن وهي ترسم تكشيرة على وجهها. تجاهلتها وتجاوزتها. امتلأت المدينة بالمجانين. سمعتها تقول. أنا مجنون

وهن عاهرات. It’s fair enough. الصارية تكاد تنكسر وهي تحـاول اختراق سروال الجينز. رَبَّاه. نسـيت دوائي. أحتاجه من جديـد. لم أتناوله منذ يوم الجنـازة. مائة درهم في الجيب. ثمن علبة الدواء مائة وثمانـون وثمن مؤخرة مومس في نهاية عمرها الوظيفي خمسون درهمًا. لم أجرب من قبل. المبيت مع إحداهن من الطبقة الدنيا يبدأ بمائة درهم زائد أجرة الفندق. هذا ما يقوله كريم ولا يسـعني إلا تصديقـه. ليس أمامي إلا الاكتفاء بثقب المؤخرة وقضاء الطلب في زقاق خلفي مظلم. سـيكون رائعًا أن يحصل لي ما حصل لجـواد وأتقيأ بعد رؤية فخذَي المومس وثقبها منتهي الصلاحية وأعف النسـاء بعد ذلك وأنسـى حميدة تمامًا. هل هو زوربـا الذي كان يتخلص من عبـوديـة الطعام الذي يعشـقه بالإفـراط في التهامه حتى يتقيـأه فيعفه بعد ذلـك؟ طبعًا أنت لا تعرف شـيئًا من هذا يا دكتور. دقات قلبي تتسارع. الخوف. الرعب. التردد. أحتاج للدواء. لا يمكنني الصبر أطوَل. كنت قد نسـيته وأنا سجين غرفتـي أيهـا الطبيبالطبيـب اللعّعّعـين. أعود بضعـة أمتار عـبر جحيم شـارع مكسـيك إلى رأس المُصلَّى. سـاخنةٌ هذه الأجساد طريةٌ. تبلعني متاهة أزقة المُصلى الضيقة. متكئًا على الباب المجاور للمسجد أراه. أُحدِّس تلقائيًّا أن غايتي عنده. خمسون درهمًا سـتوفر لي قرصًا واحدًا وسأحتفظ بالخمسين

درهمًا الأخـرى لأخنق الحيوان الذي يعضني. أضع القرص في فمي وأبلعه. تلفظني أزقة المصلى إلى شـارع فاس. أهرب من المفاتن الباذخة التي تملأ شارعَيْ باستور ومحمد الخامس. أمرُّ عبر الشوارع الفرعية حتى أصل إلى ساحة الأمم. اسمها الآن ساحة فلسـطين والعراق. بضعة أمتار نزولا وأصل إلى نهاية شـارع محمد الخامس على مقربة من حـي النجمة الذي صار وكـرًا للدعـارة الراقيـة ولا قِبـل لي بغلاء الموسـات هناك.

التهم دوران الأرض حول نفسها نصف ساعة من أعمار سكانها وبدأ مفعول القرص ينتشر في دمي. دقات قلبي ترتفع. ضوء مؤلم يتدفق إلى عينيَّ بضراوة جيش مغولي. أحس بالبسمة ترتسم على ركن فمي. ضراوة جيش مغولي. هههه. إذا استمع أحدهم لهذا التسجيل سيحسبني أسرد رواية عن سابق إصرار وترصُّد لا محض حديث نفسي. محض مونولوج. هههه. لا أذكر منذ كم سنة مرت ضبطتني أحادث نفسي بالعربية الفصحى كأني أكتب. ربما منذ أُصبت بلوثة الكتابة اللعينة أو ربما لوثة القراءة قبل ذلك. خلال إحدى المرات وأنا منغمس في المونولوج الفصيح وجدت قدمَيَّ تقودانني في اتجاه المكتبة ووجدتني أحمل

بين يديَّ لوح العجين الذي كان يجب أن أنعطف به نحو فرن الحي قبل منعطفين. ومضة أخرى من الضوء الوهاج. أسمع صوت الرصاص يخترق سكون البادية. صهيل الخيل وصرخات الرجال. تحكي جدتي عن أبيها وتقول بأنه شهيد عند الله. يقول الفقهاء الشهيد كل من مات في سبيل الله وجزاؤه الجنة والحور العين وأما محمد شحرور فيعزف وحده ويقول بأن الشهيد والشهادة لا علاقة لهما بالموت الشهيد لا يمكن أن يكون ميتًا الاقتران بين الشهيد والمقتول في سبيل الله لا وجود له في التنزيل الحكيم فمن أين جاء الربط الفقهي بين لفظ الشهيد والموت في سبيل الله؟ بالنسبة لشحرور الشهيد هو كل من اكتشف أمرًا غيبيًّا عن الناس وعرضه عليهم ابن الهيثم شهيد لأنه شهد حقيقة البصر وابن النفيس شهيد لأنه شهد حقيقة الدورة الدموية وباستور شهيد لأنه شهد حقيقة جرثومية المرض الضوء والبصر والدورة الدموية والجراثيم كانت موجودة لكنها كانت في علم الغيب بالنسبة للناس قبل أن يأتي بها الشهداء الشهداء هم من كشفوا غيبًا وقدموه للناس. خرج جدي بل جد والدتي مع جيش الخطابي بعد أن ترك بذرة جدتي في أحشاء أمها. جدة والدتي. ركد الجنين في رَحِم أُمِّ جدتي ونام عامين قبل أن تأتي والدة والدتي. والدة جدتي كانت تلعب بذيلها على ما يبدو. أُمُّ أمي تصدق تلك

الخرافات عن الطفل الراكد. أمها حكت لها أنها حبلت بها ليلة ذهاب أبيها إلى جهاد الإسبان. عاد الرجال بعد الحرب وعاد الموتى ومن يفترض أنه جد أمي لم يَعُد. لم يُعرف إذا ما كان حيًّا أم ميتًا. تقول جدتي إن والدتها ذهبت إلى فقيه فعزَّم لها ليركد الجنين. ثم بعد سنتين وصل الخبر اليقين عن زوج جدة والدتي. امرأة إسبانية سحرته وجلبته بسحرها إلى تطوان ومن هناك رحلا معًا إلى مدريد. الصدمة فكت سحر الفقيه عن أمِّ أمِّ أمي فتابع الجنين نموه وجاءت ولادة جدتي بعد سنتين من اختفاء والدها.

واو. طريف. كأن هذا القلم الصوتي يملك سحرًا يُخرج مني الحكايات بسلاسة كما تفعل أنت أيها الطّطّطّ. أييي. عضضت لساني مرة أخرى أيها الطبيببالطبيب اللعّعّعين. أف. لو أني سردت روايتي على القلم لربما كان مخاضها أسهل من تلك الخطوط المتشابكة على الورق.

بالنسبة لجدتي والدها شهيد في معركة أنوال المجيدة. أقنعت نفسها بذلك وصدَّقت. جدتي أُمِّية لا تقرأ حرفًا ولا تكتب. لكنها تحفظ الكثير عن أنوال. كانت تحكي لنا ونحن صغار أساطير عن هذه المعركة التي دحر فيها عبد الكريم الخطابي الجيش الإسباني الكامل التجهيز. تفخر جدتي بالقول إن

الهزيمة كانت صاعقة نزلت على الإسبان لدرجة أنهم سموا الموقعة كارثة أنوال. بدأت المعركة يوم 22 يوليو)92(بين الجيش الإسباني الاستعماري المدجج بالأسلحة والمقاتلين ومجموعة من سكان الريف تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي. فتك الوطنيون بالمستعمر الإسباني. لا أعرف من أين سمعت جدتي بكلمة فتك. تمكن المقاومون من غنيمة كبيرة شملت مائتَيْ مدفع وعشرين ألف بندقية وملايين الخراطيش وسيارات وشاحنات وأدوية وأغذية مُعلَّبة. أسر الوطنيون سبعمائة من الإسبان وأثخنوا في خمسة عشر ألفًا من جنود العدو. لطالما استغربت من ذاكرة جدتي على حفظ هذه الأرقام. كانت نقطة ضعفي دومًا حفظ الأرقام والتواريخ. أستغرب كيف أن هذه التفاصيل طفت إلى ذاكرتي الآن بيسر وسهولة دون أي محاولة استدعاء من جانبي وفي المقابل لا أجدني أتذكر حتى ماذا أكلت على الفطور. أو ربما أنا لم أفطر. حين كبرنا صارت جدتي تشبِّه أنوال بمعركة بدر التي لم تكن تعرف عنها إلا ما سمعته من برامج قناة محمد السادس للقرآن. دقات قلبي تتسارع وتعاني رئتاي في التقاط الهواء.

أسقط على أقرب مقعد في حديقة ساحة الأمم. لماذا غيروا اسم الساحة إلى ساحة فلسطين والعراق؟ هل لأنها كانت

الملتقى للحناجر التي كانت تلعلع بالهتافات ضد أمريكا وإسرائيل. خيبر خيبر يا يهود. جيش محمد سيعود. بخ. يا له من هراء. أي جيش هذا الذي سيعود؟

كثيرًا ما قالت حميدة إن العرب محض ظاهرة صوتية. عبارة عبد الله القصيمي التي فُهمت خطأ. هو كان يتحدث عن الشعر وجميعهم اكتفوا بقراءة عنوان الكتاب فالمتن لا يهمهم. لم أحاول أن أصحح لها فالعرب فعلًا يحترفون الكلام ويتركون الأفعال أن يلقيها إليهم جاهزةً رَبٌّ خير أمة أُخرجت للناس. إن كانت إسرائيل هي العدو فإنها عدو قوي. عدو لا يفهم إلا قانون القوة. فهل جيش محمد الذي سيعود سيكون قويًّا؟ تُرى لو تواجه أعلى برج بابل رب الشعب المختار مع رب خير أمة من منهما سينتصر؟ الابتسامة تعود إلى ركن فمي. هرطقات القرص السحري. جدتي تؤمن بأسطورة الطفل الراكد. أف. متى سيتوفر الوقت لقراءة كل تلك الكتب المكدسة. العرب ظاهرة صوتية لم أقرأ سوى فهرسه. مغامرة العقل الأولى لم أقرأ سوى مقدمته. تواجد الإنسان العاقل على الأرض منذ مائتَيْ ألف سنة على الأقل. بدأت مظاهر التحضر تظهر عليه منذ خمسين ألف سنة. بدأ الإنسان الزراعة وتدجين

الحيوانات منذ عشرة آلاف سنة. أول حضارة متكاملة ظهرت منذ سبعة آلاف سنة. معراج الملك إيتانا على ظهر النسر كان قبل معراج النبي محمد بأكثر من ستة آلاف سنة. عاد إيتانا من الجنة بنبتة الولادة التي منحته وريثه وعاد النبي محمد بمشاهد من عذابات يوم القيامة وحكاية الحصان المجنح. بئيس هذا الإنسان ما زال يتعذر عليه أن يعرف الفترة القصوى لحمل المرأة. أئمة المذاهب الفقهية الأربعة يقبلون بفترة حمل تزيد عن تسعة الأشهر. بعضها يقبل بعامين وبعضها بخمسة أعوام. في تهجين صارخ بين المذهب المالكي والمعتقدات الأمازيغية كان يقبل من المرأة فترة حمل تمتد حتى سبع سنوات. لم يتم ترسيم الفترة القانونية في 365 يومًا إلا بعد إصلاح مُدوَّنة الأحوال الشخصية سنة 2004 ضمن الإصلاحات الحماسية التي بدأ بها الملك محمد السادس فترة حكمه قبل أن يفقد الأمل في إمكانية صلاح الشعب والمنتخَبين منه لتسيير البلديات والوزارات. ضحكة رقيعة تخترق أذني كفرقعة قنبلة صوتية. يتردد الصفير طويلًا في أذني. ما أجمل ضحكة حميدة. لم يكن يُعيبها إلا أنها تُرجع رأسها إلى الوراء قبل أن تضحك. صفير حاد ودُوَار ومذاق الصديد. أرفع رأسي. على بعد بضعة أمتار على يساري أرى خدين منتفخين

عليهما أطنان من الصباغة الحمراء ورموش صناعية طويلة أرجوانية اللون وشفتين غليظتين مثقلتين بطبقات بنية اللون وشعرًا مجعدًا مرفوعًا إلى الأعلى كأنه عش اللقلق وقميصًا قصيرًا لا يغطي السُّرَّة الواسعة كفوهة بركان أعلاه شبكة مخرومة تظهر كامل الثدي الذي يفترض أنها تغطيه ولا تخفي منه سوى رأس الحلمتين وسروالًا لاصقًا لا أعرف كيف دخل في فخذيها السمينتين ينحت بدقة تضاريس العضو بين ملتقى ساقيها يخاصرها رجل تسبقه بطنه المترهلة كلاهما يتمايل في مشيته مخموران تمامًا. الصديد يصعد عبر حلقي. أغمض عينيَّ وأدلك صدغي. أضغط بكفيَّ على أذنيَّ. ما زال صدى الضحكة الرقيعة يتردد في تجاويف أذنيَّ. استفادت المرأة على مر التاريخ في المغرب العربي وفي الجزيرة العربية وحتى في اليونان منذ زمن أبقراط من أسطورة الطفل النائم. المرأة العاقر يمكن أن تدَّعي أنها حامل وأن الطفل تأخر في المجيء لتتجنب الطلاق. المرأة التي تعاشر رجلًا آخر وتلد بعد أشهر من غياب زوجها أو وفاته تدعي أن الجنين كان نائمًا لتنجو من تهمة الزنا. الأرملة يمكنها أن تحبل من رجل آخر وتدعي أن الجنين كان راكدًا حتى تحصل على نصيب الطفل من الميراث. إن كيدهن لعظيم. بخ. الحكاية الأخرى التي

لا تُقال إلا همسًا من طرف فروع بعيدة من الأسرة أن أُمَّ جدتي كانت تعشق فقيه الجامع في القرية وكان الجامعُ جَامِعَهما في جِماعِهما. حتى الخليفة عمر بن الخطاب الشهير برجاحة عقلـ

ـه إن لم تكذب كتب التاريخ سقط في فخ هذه الأسطورة عن الطفل النائم التي أخرجتها النساء لتنوم بها الرجال. تقول الحكاية إنه استُشير مرة حول أرملة تزوجت من جديد ووضعت مولودًا بعد أربعة أشهر فطلبت نسب طفلها لزوجها الأول. بعد تشاور الخليفة مع نساء مُسنَّات خلص عمر إلى أن المرأة حملت بالطفل من زوجها الأول وقد جف الجنين بسبب عودة الدورة الشهرية للأرملة وأن مَنِيَّ الزوج الثاني قام بتغذية الجنين فعاد للنمو من جديد حتى اكتمل نموه. الصداع يشتد وأشعر بأن الأرض تتحرك تحتي. هل يعقل أن تكون هذه الحكاية صحيحة؟ كيف سأعرف وكل التاريخ الإسلامي يمكن أن يكون مزيفًا. ما أسهل تزييف التاريخ اليوم يأتي جنرال على رأس دبابة يملأ الشوارع بالدماء وغدًا نقرأ في كتب التاريخ عن البطل المنقذ الذي خلص البلاد من النظام الفاسد دون إراقة قطرة دم وقاد قاطرة التقدم إلى الأمام

أميالا وبلادي بلادي لك حبي وفؤادي لم تكن حميدة ترجع رأسها للخلف حين تضحك تلك فدوى يراها جواد من بعيد مع زميلاتها دُوار رهيب وأصوات مزعجة تثقب أذني منبهات السيارات لغط الناس الهواتف التي لا تخرس الضجيج عالم من الضوضاء والضجيج ما عاد الناس يتحملون الصمت هل نحن في قبر يستهجنون هم لا يفكرون وهم لا يقرءون لا حاجة لهم للصمت ولا قدرة لهم على تحمله دوار رهيب وبركان من الصديد يفور عند حلقي والأزيز لا يتوقف من الغرفة المجاورة وطرقات كعب الحذاء لا تتوقف ذهابًا وإيابًا في الردهة. اللعنة أيها الطّطّطّـــــ بووون. تتوقف الحركة. أشعر بالشرر يتطاير من النظرات المصوبة إليّ. الحرارة تشوي خدي. أعرف أن وجهي صار أحمر كحبة طماطم ناضجة. لماذا لا توجد كلمة مفرد للطماطم؟ اللعنة تلك كلمة لم أنطقها يومًا اللعنة هذا القرص مغشوش. قرصك يا ولدي مغشوش مغشوش. منذ قضت الدولة على إمبراطورية حميدو الذيب غزت الأسواق أنواع مغشوشة من المخدرات. ما عاد بين اللصوص من شرف. عُرف باسم حميدو الذيب أما اسمه الحقيقي. اسمه الحقيقي. Anyway إنه في مكان ما تحت شبكة العصبونات الكثيفة وسيخرج وحده حين يريد ما لم يلتهم السلطعون تلك الخلايا.

أُدلِّك صدغي. أُغمض عيني. أتجاهل كلمات الاستهجان من المارَّة. شهيق. زفير.

- أشهر بارون مخدرات في المغرب هو.
- لم يكن دمويا. لم يشبه بارونات أمريكا اللاتينية.
- أعماله الخيرية كثيرة وحب الناس له عظيم.
- ما كان يتحصل عليه شخصيًّا من إيرادات المخدرات إذا ما صدق في أقواله لم يكن يتجاوز نسبة الخُمس أما الباقي فبعضها إلى الأعمال الخيرية وأغلبها إلى الأجهزة الأمنية.
- كان يعيل العائلات التي لا معيل لها وبنى العشرات من المساجد في مدن الشمال.
- تبرع بتكلفة تجديد مبنى مديرية الأمن في طنجة وكذلك لم يكن يتردد في الاستجابة لطلبات إصلاح الشوارع والبنايات الحكومية وتزيين الشوارع خلال الأعياد الوطنية.
- ساعد الشرطة للقبض على أحد المجرمين الذين قتلوا أجانب في طنجة كما تكفل رجاله باعتقال أحد المتهمين في الأحداث الإرهابية لفندق آسني بمراكش سنة 994) وتسلميه للسلطات الأمنية.

- يقول الذيب متفاخرًا بأنه كان يحمي مساحة واسعة من السواحل المغربية لم يكن بإمكان الدَّرَك الملكي ولا البحرية الملكية حمايتها خاصة مع زيادة حركة الهجرة السرية.
- يعتبر حميدو الذيب نفسه وطنيًّا من الدرجة الأولى. يقول بأن الأوامر كانت تأتيه أحيانًا لرفع الصادرات وجلب العملة الصعبة.
- بدأ الذيب مشواره مساعدًا لبحَّار وعمره ست عشرة سنة على متن مركب بين طنجة وإسبانيا.
- خلال عشرة أعوام تمكن من امتلاك مركب خاصة به وطبقت شهرته الآفاق كناقل محترف للمخدرات بين ضفَّتَي المتوسط.
- خلال الثلاثين عامًا التالية تمكن حميدو الذيب من تشييد إمبراطورية ضخمة لتصدير الحشيش المغربي إلى أوروبا.
- يقول الذيب إن اعتقاله كان اتفاقًا بينه والداخلية لإسكات الشكاوى الأوروبية لكن وزير الداخلية إدريس البصري خدعه واستولى على ثروته وتركه مرميًّا في السجن.

- كان رجلًا وطنيًّا يقول عن نفسه. تجار المخدرات الذين ظهروا لاحقًا لسد الفراغ الذي أحدثه غياب حميدو الذيب لم يكن لهم من هَمٍّ سوى تسميم الشباب ومراكمة الثروات.
- ذهب الوزير القوي إدريس البصري إلى قبره ويندر أن يذكره أحد من سكان مدن الشمال دون أن يتبع ذكره بلعنه وبقي في الذاكرة حميدو الذيب الذي كثيرًا ما أُتبع ذكره بالدعاء له وبالترحم على أيامه.

وعععع. تصعد الحمم البركانية من المعدة وتتكون بركة صفراء بين قدميَّ. أشعر بنظرات الاستهجان تسلط عليّ من الجالسين في الحديقة ومن العابرين. لا يهم. فليذهبوا جميعهم إلى الجحيم. هناك متسع لهم ولغيرهم. صوت فيروز يأتي من مكان ما خافتًا. شهيق زفير شهيق زفير. أعب الهواء. تفو. صوت فيروز يأتي من لا مكان. أدلك صدري. تفو. مذاق الصديد لا يغادر فمي. كم مرة تقيأت هذا اليوم؟ فقدت العد. عد لتسجيل القلم لتعرف يا دكتوري عساك تتعفن في أعماق الجحيم. دقات طبول تعلو وتنخفض. يعود صوت فيروز قويًّا. دفقة أخرى من الضوء الغاشم تحرق عينيَّ. سموم القرص المغشوش وصلت إلى دمي. أغمض عيني

وأعود بظهري إلى الوراء. صوت فيروز يأتي من الفضاء من كل مكان من العدم من أعماق الثقوب السوداء من قلب البراكين صوت فيروز يزداد قوة. أسدُّ أذني.

أحترف الحزن والغياب. كم كنت أحب هذه الأوبريت أحترف الحزن والغياب/ أرتقب الآتي ولا يأتي. لكنها ما عادت تزرع فيَّ أي حماس. العاثر ينهض/ النازح يرجع/ المنتظرون يعودون/ وشريد الخيمة يرجع. يدخل آلاف الأطفال/ من كبروا الليلة في الخارج/ عادوا كالبحر من الخارج. كلمات فارغة ما عادت لها صلة قرابة بالأفعال. هي مجرد أمنية ابتُذلت لكثرة ما تكررت أملًا زائفًا. شئنا أم أبينا إسرائيل دولة قوية وأما العرب فمحض ظاهرة صوتية كما تقول حميدة. كما قالت حميدة. يا ححححمم حميدة الملعونة سبعًا لربما هذا هو القول الوحيد الذي صدقتِ فيه. الأرض سليبة والبشر مشتتون في بقاع العالم وحلم العودة سيبقى محض حلم. قديمًا قال الشاعر بأن الطريق إلى القدس يمر من فوهة بندقية. أما الآن. الآن. ومضة ضوء أخـــ(يععع عووو)ـــرى وسائل أصفر يطرده جوفي ويحرق حلقي. الآن ما عادت إسرائيل هي العدو. الجميع متحالف معها سرًّا وعلنًا. استقرار العروش أهم. حُقَّ لهم

ذلك. الملوك جميعهم. خنوع الشعب وصمته سمح لهم فما شأني أنا بهذه الأفكار وأطماعهم جميعهم في حدود بعضهم بعضًا تدفعهم للتحالف مع العدو ليدافع عنهم كما ملوك الطوائف في أندلسهم لكن ما شأني أنا. أحتاج أن أنظف عقلي من هذه الأفكار الخبيثة.

أيها الطبيبالطبيب اللعّعّعين لا تزال عين السايكلوب التي ابتليتني بها تحملق فيَّ ببلاهتها المستفزة. تستحثني على المزيد من قيء الأفكار كأن قيء المعدة لا يكفي. أحتاج أن أنظف عقلي من هذه الأفكار الخبيثة.

أريد

أن

أصير

كاتبًا

روائيًّا

ناجحًا. لذلك لن أخبرك عن الأفكار التي تدور في رأسي الآن حول مساعدة إسرائيل الحسن الثاني في العثور على المعارض السياسي المهدي بن بركة بعد أن ساعدهم الملك في التجسس على القمة العربية التي سبقت الحرب التي

سميناها النكسة. ربما أنت تعرف كيف ذُوبت جثة المهدي في الحمض كما حدث لاحقًا مع صحفي عربي آخر قُطع بالمنشار في إحدى السفارات واستقرت أطرافه في الحمض.

سموم ذلك القرص المغشوش تسري في دمي. محمد سعيد ليس أفضل مني فكيف يكمل هو روايتين في عام واحد وأبقى أنا عالقًا في الفصل الأول من روايتي الأولى التي ما زالت تعاندني والتي صارت متاهة لكثرة ما فكرت وأعدت التفكير في تفاصيلها حتى صرت أخشى أن أتيه فيها كما تاه بطل رواية احجيوج الثانية في حكايته واختلط عليه الخيال بالواقع. تلك ليست رواية. هي كما سابقتها مجرد رواية قصيرة يمكنني كتابتها في جلسة واحدة. هي نوفيلا تمادى فيها كاتبها بالتحذلق على القارئ بدءًا من عنوانها المراوغ أحجية إدمون عمران المالح مرورًا بسرديتها المتشظية وانتهاءً ببنائها الدائري كأنها أفعى تلتهم ذيلها. كم يعشق محمد سعيد الفذلكة والتحذلق على القارئ المسكين أنا لن أفعل مثله أبدًا. ستكون روايتي بسيطة مفهومة تمامًا للقارئ. ههههه. هههاهاهاها. توقف المارَّة وحوقل بعضهم. البعض الآخر شعرت بالشفقة تسبح في مقلهم والحسرة تخدش طراوة شفاههم. مسكين يكلم نفسه ويقهقه

كمجنون. يصلني قولهم. بعض الفتيات توقفن وغيرن طريقهن. أخرجت علبة المناديل الورقية من جيبي لأنظف الحذاء من بقع القيء. فليذهبوا جميعهم إلى الجحيم. فليذهبن جميعهن إلى أسفل دركات الجحيم. ثمة متسع لهم ولغيرهم. ثمة متسع لهن ولغيرهن. ههه. هاهاها. علبة المناديل الورقية في يدي وفي ركنها مكتوب بخط صغير أزرق اللون جملة تسخر من ساحة الأمم والحناجر التي طالما لعلعت هنا تطالب بتحرير فلسطين ومغادرة الأمريكان من العراق. صنع في إسرائيل. ههههه.

الإبرة نأتي بها من الصين والكلينكس. نياهاهاها. تريد منديلًا؟ لا يوجد منديل. هل ينفع الكلينكس؟ الكلينكس نأتي به من إسرائيل وورق الحمام نأتي به من الولايات الأمريكية. بخ. هههه. الصين تخيط ثيابنا وإسرائيل تنظف أنوفنا وتجفف مآقينا وأمريكا الجميلة تنظف مؤخراتنا. بخ. أين ذهبت الشقراء البهية روسيا؟ المسكينة مشغولة تنظف خلف بشار الأسد. أي. أشواك أخرى من الضوء. مثقاب رهيب ينخر في صدغي. المزيد من الصديد الأصفر. الأرض تهتز والمقعد الحديدي يهتز. لم تخبرني شيئًا عن هذا العذاب أيها المنافق الكذاب الفاشل المخادع المحتال أيها

الطّطّــ يعووووو. كح كح. دفعة أخرى من القيء ويتوقف الصداع دفعة واحدة وتتوقف الأرض عن الاهتزاز. كاد قلبي يتوقف يوم قفزت حميدة من السرير وتقيأت. رأيت الهلع مرسومًا على ملامحها ولعلها رأت في عمق عيني آلاف الخطط التي فكرت فيها آنذاك للهروب من ذلك الجنين الذي يتكون في أحشائها. تكومت هي وسط بركة قيئها وبقيت متجمدًا على ركبتَيَّ على سريرها. لا يمكن أن يحدث هذا. قالت. لكن كل الأخطاء محتملة. ثمة دومًا خطأ لعين. لحسن حظنا تبين سريعًا أنه تسمم غذائي خفيف بسبب وجبة من الأكلات السريعة التي تدمنها. شهيييييق. زفيييييير. حححميدة حميدة يا حميدة آه يا حميدة قلت لي يومًا إنك تشتهين لو كنتِ فرسًا لو كنتُ حصانًا لو كنا نمرح في السهول الشاسعة حيث لا بشر يا لمتعة أن أركبك حصانًا يا فرسي تحت ضياء القمر ونور النجوم تحت شمس الظهيرة ونسيم العصر كم أشتهي ركوبك أيتها اللعّع يينة الخائنة متى كانت المرة الأولى. كأنها الأمس وكأنها منذ الأزل.

دعيني أُذكِّرك دعيني أهمس لك وأنت أيها الطبببالطبيب الملعون لا تشغل بالك بهذه الحكاية. شهيييق. زفيييير.

في نهاية الفصل الأول من سنتك الأولى في المعهد طرقت باب مجلة طنجة الأدبية تبحثين عن مؤسسة صحفية لقضاء فترة تدريبك الإلزامية. لم تكن طنجة الأدبية مؤسسة صحفية. كانت مشروعًا متواضعًا أقيم أوَده من دخلي الشهري المحدود جدًّا من وظيفتي في التعليم والتعويضات الصغيرة من الوكالات الأوروبية أترجم لهم الأخبار.

كنت ما أزال معلمًا تلك السنة.

معلمًا مع وقف التنفيذ.

آآآه. بعد خمس سنوات من العزلة خلف ثلوج قرية باب برد على تخوم الحسيمة لم أستطع التحمل.

تعبت من الذهاب كل يوم إلى فصل دراسي يغدو فرنًا تحت قيظ حرارة العصر وحجرة تعذيب شتاءً بالبرودة التي تتسلل إلى الأقدام من الأرض والنوافذ الخشبية التي لا تكف الرياح عن اللهو بها لتضيف طقطقتها إلى عوائها هي ذاتها ومستوى التلاميذ في انحدار دائم لا أعرف إذا ما كان آباؤهم يطعمونهم مما تُنبت الأرض أم يطعمونهم الخراء. قدمت شهادة طبية شهادتك أيها الطّـ ـبـ ـيـ ـب المتخفي

خلف عين السايكلوب الخضـــــ(غريب متى ستفرغ بطارية هذا القلم؟)ـــــراء تقول إني أعاني اكتئابًا مزمنًا وأحتاج عامًا من النقاهة. بدأت تلك السنة مشروع طنجة الأدبية. كانت الجريدة الأدبية والثقافية الوحيدة من نوعها في المغرب. ساهم معي صديقان في المشروع. الصديق جواد الإدريسي وهو معلم أيضًا استدان من البنك بضمان راتبه والصديق محمد سعيد احجيوج كان يضخ كامل راتبه في المشروع. كان جواد يطمح إلى التخرج ناقدًا أدبيًّا لكنه بعد عامين في كلية الآداب اضطر لإيقاف دراسته والتحول إلى معهد المعلمين ليتخرج معلمًا بعد سنة. وظيفة آمنة وراتب مضمون. اضطُر لذلك لأن والده توقف بغتة عن العمل ووجد جواد نفسه ملزمًا برعاية أسرته. أما محمد سعيد فقد كان يُدرس علوم الكمبيوتر في معهد خاص. كان أصغرنا سنًّا ولم تكن لديه التزامات كبيرة لذلك كان من السهل عليه أن يضخ كامل راتبه في مشروعنا الأدبي الطموح. مشروعنا الغبي. اتفقنا على طنجة الأدبية اسمًا للمجلة والأول من أبريل الذي سيأتي بعد ستين يومًا موعدًا لصدور العدد الأول. اللئيم محمد سعيد اختار على غفلة منا يوم مولده يومًا لميلاد المجلة. بدأنا العمل على قدم وساق. تلك الأيام كانت الأسعد في حياة ثلاثتنا.

حبيبتي ليتها تعود تلك الأيام. كنا مفعمين بالأمل. اللعنة. اللعّّععع ـــــــــــــــنة. كان أملًا زائفا وكنا أغبياء. محض أغبياء يحاربون الطواحين. ششششششتشتشتتتتشتش. عدت لجنونك أيها القلم كم عليَّ أن ألطمك حتى تعود عينك الخضراء للوميض؟ صدر العدد الأول وانتشينا بالرسائل التي صارت تتدفق علينا من القراء. لكنها كانت نشوة زائفة. زائفة زائفة زززززززائفة. زفت زففف زيف زيفاف زززززفت زبيب ززززز. عيون أخرى تحدق. حبيبتي كم أحتاج صدرك حـ شهيييق. زفيير. دعيني أكمل الحكاية التي لم تهتمي يومًا بسماعها.

رائع جدًّا أن تصلك مائة رسالة من مائة قارئ مختلف من كل جهات المغرب يحتفون بالتجربة. لكننا كنا نطبع خمسة آلاف نسخة من كل عدد في حين ولأسباب مختلفة منها سوء التوزيع فإن المبيعات لا تصل حتى إلى ألف نسخة وكل شهر كنا نتكبد خسارة فادحة. مرت أربعة أشهر من الصدور المنتظم ثم ستة أشهر أخرى من الارتباك واللهاث. حفي حذائي خلف رجال الأعمال ورجال الإحسان طمعًا في معونات ودعم لمواصلة إخراج المجلة الأدبية الوحيدة في المغرب آنذاك. غالبًا كنت أعود خاوي الوفاض وأحيانًا

بمبالغ زهيدة تُلقى إليَّ كما تلقى العظام للكلاب كنا نستدين للزيادة عليها لأداء تكلفة طباعة العدد التالي من المجلة إلى أن اكتملت السنة وصار اسم المجلة على كل لسان من المثقفين والأدباء كبارًا وشبابًا. الكل كان ينظر إلى التجربة بإكبار ويندهشون من قدرتنا على إصدار المجلة بجهودنا الذاتية ليس إلا. لكن أي ححجميدة أولئك المثقفون والأدباء كانوا يكتفون بتصفح المجلة في الأكشاك وفي المكتبات وكانوا يبخلون بخمسة دراهم لشراء نسختهم. كانوا ينتظرون منا نسخًا مجانية نتكفل حتى بتكلفة إرسالها إليهم بالبريد. فكانت النتيجة البديهية مجلة ذات حضور كبير على الألسنة لكن المبيعات هزيلة. هزيلة جدًّا. نيل الدعم من وزارة الثقافة ضمن برنامج دعم الكتب والمشاريع الثقافية كان مستحيلًا. لم تكن المجلة مهادنة في طبيعة مواضيعها ولم تكن لنا نية التخفيف من حدة الانتقادات طمعًا في عطاء الوزير ولم نكن موافقين أصلًا أن نصير منتفعين من اقتصاد الريع. لاحقًا انتقلت ملكية المجلة إلى صديق كنت مدينًا له بالملايين. بذل المالك الجديد بعض الجهد وصرف بضعة ملايين إضافية وغير الخط التحريري وصارت المجلة تحصل على الدعم من الوزارة بانتظام مثل كل المجلات الأخرى التي ظهرت بغتة بعد انتظام صرف الوزارة لدعم

المجلات الثقافية. كل ناشري الكتب وناشري المجلات يُزورون الفواتير ليحصلوا من الوزارة على مبلغ هو أكبر من التكلفة الحقيقية للطباعة. الكل يعلم ذلك والوزارة تعلم ذلك وبعض أعضاء لجان الدعم أثروا بين ليلة وضحاها. حين اكتمل العام الأول جلسنا لنقرر مستقبل المجلة. اتفق جواد ومحمد سعيد على أنهما ما عادا قادرين على ضخ هذا الثقب الأسود بدخلهم المالي المحدود أصلًا. خرج جواد مثقلًا بقرض بنكي سيثقل عليه لأشهر تالية وخرج محمد سعيد بخسارة فادحة لكنه كان يقنع نفسه وهمًا بأنه تعلم من التجربة وما تعلمه من أسرار النشر والطباعة يستحق ما استثمره من مال لكنه نسي أن المعرفة سريعة التقادم في هذا العصر سريع التقدم. سمعت أن محمد سعيد يكتب عن تجربة المجلة في رواية عَنونها ليل طنجة وقبلها كان قد كتب رواية عَنونها كافكا في طنجة حكى فيها قصة متخيلة عن المأساة التي أصابت صديقنا جواد ومرضه الغريب. لا أعرف لماذا استخدم محمد سعيد اسم المدينة في تسمية روايتيه. لا أذكر أنه يحب طنجة إلى هذه الدرجة. لعلها حيلة تسويقية ليس إلا. أما أنا فقد أبيت الاستسلام. يا لجهلي. أبيت الاستسلام وقررت المواصلة في المشروع وحدي. استدنت كثيرًا واستطعت المواصلة لثلاثة أشهر

أخرى. ذاك أقصى ما استطعت ثم اضطررت للتخلي عن المجلة لصديقي مقابل التشطيب على ديوني. هذا الحيوان الغبي المتوثب يدفعني دفعًا لتذكُّرك أيتها الملعونة. كيف تُراك ستبدين معلقة من ثدييك في أحد وديان جهنم وأحد الملائـــــ(ههه. ملاك)ـــــكة يدفع قضيبًا حديديًا منصهرًّا في ثقبك؟ لا تحملق فيَّ بهذه البلادة. هل أخبرتك من قبل يا ططبيبي المأفون إن حميدة اللعينة كانت تستعرُّ مني وترفض التمشية معي في الأماكن التي يمكن أن يرانا فيها أصدقاؤها أو أصدقائي. عام ونصف من مواعدتها ولم يرها جواد ولا محمد سعيد ولو مرة واحدة. المسكينان اعتقدا أنني زاهد في النساء أكتفي بقصائد الغرام التي نشرت بعضها في المجلة وأصدرت بعضًا منها في ديوان طبعته دار نشر مصرية على نفقتي ولم يصلني منه أي نسخة. اللغط في ساحة الأمم لا يريد أن يتوقف. هل نحن في مقبرة؟ يقولون. لا قدرة لهم على تحمل الصمت. جاءت حميدة تطلب فرصة تدريبية في المجلة. أخبرتها أن المجلة متواضعة الإمكانات وليس ثمة متسع لاستقبال المتدربين. ذهبت معها إلى صديق يملك صحيفة إخبارية أسبوعية وحصلت لها على ما تريد وحصلت لنفسي على موعد معها في الصباح التالي على الطاولة فنجان من القهوة السوداء دون سكر أمامي رمال

الشاطئ المشبعة بأمطار يناير الصباحية وقُدّامها أمواج بحر تتهادى بتعب العاصفة التي مرت فجرا وتترنح منكسرة على الشاطئ مصحوبة بأصوات رتيبة الإيقاع. واو. يا لها من جملة طويلة تمر بذهني كأن تقيؤ القرص المغشوش أعاد تحفيز البركان داخلي. لن أضيع الفرصة. سأجرب إضافة مشهد لروايتي صوتيًّا. سأمنحك يا طبيبي الفرصة لتستمتع بأحد إبداعاتي الأدبية قبل أي قارئ. أوبس. قبل أي مستمع آخر. ههه. احم. احم.

عاد الربيع يسترجع سطوته بعد أن تلاشت غيوم الشتاء التي انبثقت من العدم بعيد الفجر. على الطاولة فنجان من القهوة السوداء دون سكر والمغلف الأصفر الذي تركه له إدريس. أمامه رمال الشاطئ المشبعة بأمطار الصباح وقُدّامها أمواج بحر تتهادى بتعب العاصفة التي مرت وتترنح منكسرة على الشاطئ مصحوبة بأصوات رتيبة الإيقاع. المقهى شبه فارغ في هذه الساعة من الصباح إلا من الفتيات العاملات في مراكز الاتصالات يبدأن صباحهن بسيجارة وهن واقفات ينتظرن أن تُجهز القهوة التي سيأخذنها في فناجين ورقية لا بتلاعها رفقة سجائرهن في طريقهن نحو مراكز عملهن الواقعة على الشارع المقابل

لكورنيش مالاباطا. يا لبخل مراكز الاتصالات التي لا توفر قهوة مجانية لموظفيها الذين يحرقون أعصابهم وغير أعصابهم بين جدرانها يفكر جواد. مر أسبوع على وفاة إدريس. لم يستطع جواد التصديق أنه انتحر. رمى نفسه من شرفة الشقة في الطابق السابع من العمارة. لا يُعقل أن يموت إدريس منتحرًا. يعرف جواد عن حالات اكتئاب صديقه التي تتكرر شهريًّا كدورة حيض النساء. تأثير القمر غريب وغامض. الحقيقة أنه نفسه تزوره دوريًّا حالات اكتئاب غالبًا تكون خفيفة وأحيانًا تستمر الحالة يومين أو ثلاثة من الشعور العارم بالفراغ والضياع ولا جدوى الحياة. لكنه طبعًا لم يفكر بالانتحار ولا يصدق أن صديقه فعل ذلك. يعرف أن إدريس يعاني صعوباتٍ في مشروعه الصحفي الجديد. الصحيفة الإلكترونية الإخبارية التي بدأها مباشرة بعد تجربة المجلة الأدبية. كما يعرف أنه ما زال متعثرًا في كتابة سيرته الروائية التي بدأها منذ أشهر كما يعرف وفاة والدته بسرطان الثدي. لكنه يعرف أيضًا أن إدريس متفائل محب للحياة. لماذا لم يفكر أحد في احتمال أن يكون إدريس سقط غفلةً. ربما حالة إغماء بسبب إفراطه في العمل ليل نهار داهمته وهو يطل من الشرفة. لم يكن أحد في البيت وإدريس يسكن مع أخيه وأبيهما. كيف يُعقل أن يفكر إدريس

بالانتحار مباشرة بعد الخروج من الحمام مكتفيًا بسروال قصير وروب حمام. إدريس الخجول البالغ الحياء لن يفعل ذلك. مد جواد يدًا مترددة إلى المغلف الأصفر وتلمَّسه بأنامله محاولًا استشعار آخر لمسات إدريس. لم يجد الجرأة بعد ليفض المغلف ويلج إلى الأسرار التي أودعها إدريس هناك وفضل أن يغوص في ذكرى اللقاء الأول. لم يكن جواد قد تخرَّج بعد في معهد التربية وتكوين المعلمين وتلك كانت جلسته الأولى في مقهى كلاريدج المستكين على ضفة شارع باستور القريب من محل سكناه في العمارة المطلة على سور المعكازين التي كانت مملوكة لبارون المخدرات الشهير حميدو الذيب. كان إدريس جالسًا رفقة أصدقائه متحلقين حول الطاولتين المجاورتين لطاولة جواد. سيعرف لاحقًا أنهم جميعهم معلمون وسيعرف أن إدريس يطلق عليهم لقب البشمرگة. لم يستطع جواد التركيز على الرواية التي يقرأ بسبب ارتفاع حدة صوت البشمرگة وسرعة تنقلهم من موضوع إلى آخر. ترك الكتاب مرغمًا ورفع عينيه إلى شاشة التلفاز وترك أذنيه تلاحقان سجالات جيرانه. انتقل الحديث بهم ذات لحظة إلى موضوع إصلاح التعليم وانهيار الوضع الاعتباري للمعلم في المجتمع. بدأ التعليم ينهار حين صار مجرد وظيفة آمنة يتهافت عليها الشباب للحصول

على راتب شهري مضمون كما فعل من قبل المنتخَبون الذين تركوا سياسة التدبير وما عاد البرلمان بالنسبة إليهم سوى بَرِّ أمان. قال إدريس وتابع مؤكدًا. أول من قضى على الوضع الاعتباري للتعليم وللمعلم هم الوافدون الجدد المدفوعون بالخوف من الفقر والساعون لحياة من الرفاه الشخصي رامين خلف ظهورهم نبل مهمة خدمة الأبناء كما فعلت من قبل أجيال متلاحقة من المعلمين الذين كان الإيثار خصلتهم الأبرز. إنه محق. جواد يعرف ذلك جيدًا فهو على بُعد أسابيع من التخرج ليبدأ في سبتمبر المقبل عمله معلمًا رغم أنه لم يكن يفكر من قبل ولو محض خاطر عابر أن يكون معلمًا لولا أنه دُفع إلى ذلك دفعًا خوفًا من الفقر. إلى حدود شهور معدودات كان جواد طالبًا في سنته الثانية في كلية الآداب. كان طموحه أن يتخرج ناقدًا أدبيًا يشار إليه بالبنان يجعل العالم يرمي بالنظريات الأدبية كلها إلى أقصى أعماق تاريخ الأدب ويعتنقون جميعهم نظريته الفذة التي ستفسر كل شيء. لكنه اضطر للتخلي عن حلمه وقد أقنع نفسه أنه تأجيل مؤقت ليس إلا وقفز إلى معهد تكوين المعلمين ليدرس سنة واحدة يتخرج بعدها معلمًا موظفًا في وزارة التربية والتعليم ذا راتب شهري مضمون قابل للزيادة مع توالي سنوات العمل ومراكمة شواهد الدراسة الجامعية. كان عمره اثنين وعشرين عامًا وكان خلال سنة

دراسته تلك في المعهد يعمل في مهن وحرف صغيرة متعددة ليغطي مصاريفه. المنحة الدراسية المتواضعة التي يمنحها المعهد بجانب مدخرات والدته التي كانت تدبرها من بقايا المصروف الشهري خفية عن والده بالكاد كانت تكفي لسد رمق العائلة بعد أن قرر الأب فجأة أن يتوقف عن العمل ويفترش سجادة الصلاة في البيت متعبدًا مستغفرًا ربه من ذنوبه طيلة سنوات اشتغاله ساقيًا في حانة. كان هذا هو الاعتقاد العام لدى الأسرة، لكن الحقيقة أن لا أحد منهم ولا الأب نفسه كان يدرك تحديدًا سر الانقطاع عن العمل والتفرغ للصلاة.

جنح احجيوج في خياله بعيدًا حين تخيل سبب قعود والد جواد في البيت. ذاك مقطع من روايته كافكا في طنجة أحفظه تفصيلًا. استمع جيدًا أيها الطّطّ يا دكتور. (ذلك المساء جاءت صاحبة الحانة الفرنسية ومعها، لأول مرة، ابنتها، الوردة المتفتحة ذات السبعة عشر ربيعًا. كان محمد الإدريسي في الخدمة آنذاك فحمل للأم كأس الكونياك الذي تفتتح به مساءها كلما أتت، وقدم لابنتها عصير برتقال طلبته الأم واعترضت عليه البنت متذمرة. ذلك المساء غمز له زملاؤه كثيرًا وهم يشيرون إلى الصبية التي سكنت نظراتها عليه في ذهابه وإيابه. ذلك المساء، تتبعته الصبية بنظراتها حتى ذهب ذات لحظة إلى الحمام فلحقت به وأقفلت عليهما الباب وتركت فستانها ينزلق إلى الأرض. لم يفعل شيئًا. ارتفعت دقات قلبه، ولم يفعل

شيئًا. نعم اشتهاها، لكنه لم يفعل شيئًا. توقف طائر أخضر على نافذة الحمام ورأى عينيه تلمعان كعيني فاطمة. أحس بمائه يتدفق وأحس بالأرض تميد به وسقط مغشيًا عليه. تلك الليلة كانت آخر عهده بالمكان، وبالعمل إجمالًا. جلس في البيت معتكفًا للعبادة. لو سألته لما وجدت عنده الجواب، لا عن الطائر ولا عن الإغماءة ولا كيف أدى ذلك إلى هروبه إلى سجادة الصلاة. ستمر عليه الأشهر عامين كاملين سينسى فيهما حياته السابقة وسيبقى أسير سجادة الصلاة إلى أن يأتي مساء آخر سيجد فيه نفسه أمام جسد امرأة عارية تقطر ماء، ولن يرى في ذلك اليوم أي طائر أخضر تلمع عيناه كما تلمع عينا زوجته فاطمة. يومذاك كانت زوجة جواد تستحم وكان الأب يصلي العصر وكانت الأخت والأم في السوق. خرجت الزوجة من الحمام تلتحف الفوطة ليس إلا، ناسية أو متناسية أنها ليست وحدها. علِقت الفوطة بطرف مسند التلفاز الحديدي فانفتحت وانسلَّت منزلقة. قام الأب واستدار طاويًا سجادة الصلاة وتصلبت عيناه على الحور العين التي نزلت إليه من الجنة. ارتبكت وتجمدت، ثم شهقت وجرت. تعلق بصره بالكرتين المتوثبتين وانحبس ريقه في حلقه. سعل حتى كاد يختنق ثم انتصب ونفخ صدره وخطا إلى غرفتها بخطوات واسعة. في البداية كان الاحتجاج الصامت ثم جاء التمنُّع المتدلل ثم جاء الرضوخ المستسلم، وبعد تسعة أشهر جاءت أمل.)

كان جواد ناقمًا بشدة على والده الذي تخلى عن مسئولياته فاضطر هو للتخلي عن الدراسة التي يحب والسعي نحو مهنة لا يقدر عليها ليدبر لأسرته لأمه وأخته الصغيرة دخلًا يوفر لهم الكفاف أمام غلاء لا يفتر على الزيادة

باطِّراد. قاوم جواد ألا يتدخل في النقاش إلا أنه لم يفلح. اتفق الآخرون على الاختلاف مع إدريس في رأيه فهم يرون أن تردِّي التعليم سببه المؤامرات الصهيونية وضغوط البنك الدولي وخوف الحسن الثاني من شعب متعلم. كان جواد الوحيد المتفق معه كليًا ومعهم جزئيًّا فقرر التدخل وتلك كانت بداية الصداقة التي لم يفرقها غير الموت. ما زال جواد مترددًا لا يملك شجاعة تكفي لمواجهة ما يمكن أن يكون إدريس قد باح به في الأوراق التي في المغلف. قد تكون روايته أكملها قبل وفاته وقد تكون نتيجة التحري عن اللقاء الغامض والمريب بين كريم وسارة يوم رآهما إدريس يدخلان ذات مساء معًا إلى حانة. انفلت القول ذاك من إدريس رغمًا عنه في لحظة غضب من البؤس الذي يرى عليه جوادًا. سحب جواد عينيه من زَبَد الأمواج ونظر نحو باب المقهى. رأى فتاة شابة تُخرج من محفظتها ورقة نقدية لأداء الفاتورة وبجانبها رفيقها يريح يدًا على خصرها ويدًا داخل جيب سرواله. فكر جواد كيف أنه صار من المعتاد الآن أن ترى الأحباء يتناوبون على أداء الفاتورة. ما عادت النساء يثقلن على رفقائهن بشكل دائم وما عاد الرجال يخجلون من أن تدفع النساء فواتير المقهى أو المطعم. إذا رأيت الآن شابة تختار أغلى ما في قوائم

المقهى والمطعم ولا تشارك إطلاقًا في الفاتورة فاعلم أنها غير جادة أبدًا ولا تفعل سوى الاستمتاع بوقتها مع المغفل الذي يصرف عليها. قال إدريس ذات يوم. أدت الفتاة الفاتورة وتأبطت ذراع رفيقها. رأى جواد الحبور يشع من عينيها المتلألئتين على وجهها الظاهر الطيبة وفهم ببساطة أنها واقعة في غرام الشاب. حَدَّس جواد أن الشاب يستغل الفتاة. هي طيبة ساذَجة مخدوعة بوهم الحرية الممنوحة للمرأة وهو يخطط لاستغلالها بدءًا من استنزاف راتبها إلى غاية انتهاك جسدها بمداعبات جنسية قد يتمادى فيها إلى فض بكارتها ثم يختفي ومعه ملحمة بطولية سيفخر بها أمام أصدقائه. ستقفل الفتاة على نفسها أيامًا وحتى شهورًا تبكي وتحزن إلى أن تقرر بعدها أمرًا من اثنين. إما أن تكره الرجال جميعهم وتبتعد عن طريقهم كأنهم جذام يمشي على قدمين وإما تتحول إلى حياة اللهو وتمنح لنفسها حق الاستمتاع بجسدها مع أي رجل تشتهيه. يفكر جواد ربما هناك احتمال ثالث. أن تُظهر الفتاة العفاف بأن تغطي شعر رأسها بخرقة ثوب إن لم تكن تغطيه سلفًا وتسدل المنديل على نحرها وتتركه تحت رحمة هَبَّات النسيم المفاجئة ليكشف البياض الفادح لمنبت ثدييها حتى تصطاد رجلًا ساذَجًا بما يكفي لكيلا ينتبه لثقبها المنتَهك ليلة عرسهما.

رجلًا ساذجًا ستسيطر عليه وتنتقم من خلاله مما فعله بها حبيبها الذي سلمته نفسها. الحقيقة أن تجارب جواد مع النساء محدودة بل منعدمة وما آراؤه إلا محض ملاحظات خارجية يمكن أن يُجانبها الصواب قليلًا أو كثيرًا. كل ما يفعله هو التحديق في الأثداء الناهدة وملاحقة الأرداف التي تثير شهيته كما تثير شهية كل العرب. يفكر أحيانًا أن ما يفعله ُيعد حتمًا انتهاكًا لجسد المرأة. نوعًا من التحرش وحتى الاغتصاب. لكنه يواسي نفسه سريعًا ويبرر فعله بأن الإساءة بدأت بها المرأة أولًا . فمهما جاهد نفسه سيصطدم بصره لا محالة بصدرٍ عارٍ وحلمتين نافرتين تحت قميص شفاف وربلتين مترجرجتين وعجيزة لاحمة مضغوطة بسروال ضيق.

أرى بعض الأقدام تتوقف قريبةً مني يتلصص أصحابها على روايتي. اللصوص. أصمت حتى تعود الأقدام لحركتها وأعود. تبًّا لهؤلاء الفضوليين. حبل أفكاري سينقطع هكذا. *ما تفعله المرأة أيضًا تحرُّش سواء قصدت ذلك وما أكثرهن أو لم تقصد. قرر جواد في النهاية أن الأمر عادل تمامًا. المرأة تعرض بضاعتها وهو زبون محتمل لا يملك ثمن البضاعة يكتفي بالمشاهدة. بل إن تحرش المرأة به كان أكبر فهو لم يسبق*

له يومًا أن مد يده إلى امرأة أو احتك بها عمدًا لكن ما أكثر النسوة اللواتي تمادين في تحرشهن واحتككن به في الحافلة أو سيارات الأجرة. تنهد جواد وتَنشَّق بعمق الهواء القادم مع الأمواج. في هذا المقهى ذاته كان يلتقي سارة.

سأهمس لك بسر يا عين السايكلوب: في ذلك المقهى ذاته كنت ألتقي حميدة.

قبل سارة زوجته تعرف جواد إلى سارة أخرى قادمة من الرباط لدراسة الترجمة. كان يعمل نادلًا أثناء العطلة الصيفية ما بين سنتَيْ دراسته في الجامعة. اقتحمته سارة بجرأة لم يتوقع أن تملكها امرأة. كان الشبق يسيل من عينيها. أول مرة دفعت قيمة الفاتورة لامست يدها كفه بطريقة مقصودة وسكنت هناك. شعر بقُشَعْريرة تغزو ظهره وانتفض. في اليوم التالي مدت يدها تصافحه حين جاء يأخذ طلبها. في اليوم الثالث انتظرته عند الباب بعد انتهاء نوبة عمله. جاءت لطنجة منذ أسبوع وتقيم مع أختها في انتظار بداية العام الدراسي في المعهد. ستقول ذلك لجواد لاحقًا أما ذلك اليوم فقد سألته ببراءة الأطفال إن كان يعرف مطعمًا محترمًا ليس غاليًا على مصروفها المحدود.

رأى الدعوة صريحة في عينيها وقرر أن يجرب الذي لم يجربه من قبل ولم يتخيل نفسه يقوم به أبدًا. قال إنه يدعوها إلى الغداء ولم تتردد هي. كان موعدهما الأول وتكررت المواعيد. جاءت الملامسات العضوية خلال مشيهما معًا. تحولت المصافحة إلى قبلة على الخد. جاءت القبلة الأولى على الشفتين في لحظة مسروقة فاجأت بها سارة جوادًا. تكررت القبلات. تكررت الملامسات والأحضان المسروقة في الأركان المظلمة من شوارع وسط المدينة. أخذت يومًا يده إلى عجيزتها أسفل سروالها خلال قبلة طويلة. في يوم آخر أدخلت يده أسفل بطنها. في يوم آخر أدخلت يدها أسفل بطنه. تكررت الملامسات والقبلات والأحضان المسروقة عامًا ونصف العام. ثم جاء الوداع المباغت حين جاءها حظ البطاقة الخضراء لينقلها على بساط سحري إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ذهبت سارة وبقي جواد جثة فارغة. صار مؤهلًا ليسقط بسهولة في فخ سارة زوجته. الخائنة اللعينة كما هن كل النساء.

أُفّ. ما أتعس حظه جواد البئيس كنت أنتظر حميدة في اليوم التالي لزيارتها مكتب المجلة. على الطاولة فنجان من القهوة وأمامي رمال الشاطئ تُقبلها أمواج بحر متعب من

العاصفة التي مرت فجرًا. المقهى شبه فارغ في هذه الساعة من الصباح إلا من الفتيات العاملات في مراكز الاتصالات يبدأن صباحهن بسيجارة وهن واقفات ينتظرن أن تجهز القهوة التي سيأخذنها في فناجين ورقية لابتلاعها رفقة سجائرهن في طريقهن نحو مراكز عملهن الواقعة على الشارع المقابل لكورنيش مالاباطا. ما بين رشفة وأخرى من قهوتي جالسًا في الساحة المقابلة لباب المقهى منتظرًا حميدة كنت عاجزًا عن التحكم في عينيَّ اللتين تلاحقان العجيزات المدورة تحت سراويل الجينز الضيقة والأرداف الرُّجِّ تحت الفساتين الشفافة التي يرسم بها النسيم تضاريس الأجساد تحتها والسيقان العارية تحت التنورات القصيرات المنحسرات عن رُكبهن المرمرية. ليس يجلس هنا في هذه الساعة غيري وزبائن متفرقين على مقاعد المقهى الشاسع منشغلين بالتحديق في شاشات هواتفهم وفتيات ليل في الأركان العميقة من المقهى كان زبائنهن من الكرم بحيث طلبوا لهن فطورًا ملكيًّا بعد ليلة لا شك كانت مُرْضية لهم. لم أنتبه لصلابة عمود النار بين ساقيّ واستيقاظ الحيوان إلا حين جاءت حميدة. كنت شاردًا في ملاحقة المفاتن الأنثوية رغمًا عني. قبل حميدة كانت تجاربي النسائية منعدمة. كل ما كنت أفعله هو التحديق في الأثداء الناهدة وملاحقة

الأرداف التي تثير شهيتي كما تثير شهية كل العرب. كنت شاردًا حين وقفت لأصافح حميدة لكن نظراتها تركزت على الصارية الملعونة المنتصبة أسفل بطني وانطلقت تضحك. هل تسمعني أيها الطّطّطّـــــ يا طبيبي؟ ماذا كان عليّ أن أفعل. اللعينة ضحكت بجنون وأنا سقطت جالسًا أداري خجلي برسم الذهول على وجهي والتحديق في أمواج البحر. لم تَقُل شيئًا. جلست واحتضنت كفي. اقتربت بكرسيها وأودعت ساقها بين ساقِيَّ. النار كانت مشتعلة في داخلي وانفجر ينبوعي رغمًا عني بعد اهتزازات عصبية لا إرادية. لم أتخيل وجود فتاة بجرأة حميدة. أبعدت نظري متوترًا فرأيت عند باب المقهى فتاة شابة تُخرج من محفظتها ورقة نقدية لأداء الفاتورة وبجانبها رفيقها يريح يدًا على خصرها ويدًا داخل جيب سرواله. رأت حميدة أن تحديقي في الفتاة قد طال. أمسكت ذقني بأصابع يمناها. أنا هنا. قالت ضاحكة ثم قالت ألا داعي للجلوس في المقهى وأخذتني إلى شقتها. شقة أختها التي لا تقيم في المدينة. أختها تعمل موظفة استقبال في فندق في مراكش وزوجها موظف في بنك في طنجة يعيش رفقة والديه. لن تلتحق الأخت بزوجها قبل أن تجد وظيفة أفضل في طنجة. أقساط قرض الشقة المشترك بين الزوجين لا تسمح لها بترف

مغادرة وظيفتها. ما إن أقفلت حميدة الباب حتى أطبقت على شفتي. احتضنتني وضغطتُها إليّ. لو لا أننا لم نفعل شيئًا أكبر ذلك اليوم لما استطعت تصديق هذه الذكرى. الينبوع عديم الخبرة انفجر مجددًا بمجرد حضنها ثم رفض الحيوان أن يستيقظ بعد ذلك. تكررت المداعبات والأحضان خلال الصباحات التالية وأحيانًا المساءات حين تدرس صباحًا ثم تحولت المقدمات إلى متن وصرت مدمنًا على شهدها بعد أن أتقنت التناغم مع متطلبات جسدها.

اللعينة حميدة جرتني إلى مستنقعها. إنها الثامنة ليلًا ولا تزال ساحة الأمم مكتظة بناس يراوحون ذات أمكنتهم. رائحة قيء القرص المغشوش تزكم أنفي وكل من يمر يتوقف محدقًا ثم يغير طريقه. كم هو مريح أن يراك الناس مجنونًا.

أجدني مرتاحًا أكثر الآن.

القرص أو القيء. أحدهما كان بشكل ما مفيدا ليستعيد ذهني بعض صفائه المفقود. الثامنة ليلًا. ما زلنا في بداية سبتمبر وما زال الوقت مبكرًا على الانحدار إلى أسفل الشارع حيث الثقب الذي سيخنق حيواني المنتعظ لا يزال. مثانتي ثقُلت مبكرًا ولا قدرة لي على تحملها. لن أضع نفسي

في الموقف الذي كان حافظ الأسد يضع فيه مفاوضيه حين يُلزمهم باجتماعات مُطوَّلة لا يمكنهم مغادرتها إلى أن تتضخم مثانتهم وينتهي صبرهم فيقبلون بكل ما يقول حتى يخرجوا من الغرفة قبل أن يتدفق النهر من المثانة رغمًا عنهم. لا حمامات عمومية في هذه المدينة. أصعد عبر شارع محمد الخامس وأدخل إلى أقرب مقهى. أطلب استخدام الحمام. ممنوع على غير الزبائن يقول النادل. أجلس وأطلب قارورة ماء معبأة في بلاستيك مسرطن ثمنها هنا ثلاثة أضعاف سعر بيعها في محالات البقالة. استشرى السرطان في هذا الكوكب الملعون ولم تسلم منه حتى القطط والكلاب التي يملأ مستعبدوها وعَبدَتُها بطونها بالأطعمة المعلبة المعدلة وراثيًّا المثقلة بالكيماويات القاتلة. الفص الجبهي قلت أيها الطّطّبيب المحتال وبدأت الغرفة بالدوران وامتنعت طبلتا أذني عن الاهتزاز. يجيء النادل بقارورة الماء. هل يمكنني استخدام الحمام الآن؟ أسأله ويومئ نحو دورة المياه. أنهض إلى الحمام ولا تفوتني حوقلته وإشارات أصابعه إلى جانب وجهه يصفني لزميله بالجنون. كتل الخراء مكدسة والجالس الأخير هنا لم يكلف نفسه عناء شد السيفون قبل أن يغادر. أكياس من الخراء تمشي على قدمين. أضغط على مفتاح طرد المياه ثم أنتبه إلى قطرات صفراء على كرسي

الحمام. أخ. أفرغ مثانتي واقفًا. تُرى كم سنة مرت على نيوتن وهو يرى بوله ينزل إلى الأسفل ولم يفكر في قانون الجاذبية إلا حين سقطت على رأسه التفاحة؟ لعل السر في تلك التفاحة التي لا شك قضم منها آدم من الشجرة المحرمة ثم انفلتت منه وبدأت رحلة سقوطها من الجنة عبر السماوات السبع خلال آلاف السنوات قبل أن تجد مُستقرًّا لها على رأس إسحاق نيوتن الذي كان هو الآخر مثل جواد. يييييتتتاأأأأأ يييتلعثم في الكلام. ثمة هاجس. فكرة. لا. لن أخبرك أيها الطّطّبييب. مفكرتي الحبيبة في جيب صدري. سأعود إلى الطاولة أجلس وأخربش قليلًا.

كان اللقاء محض مصادفة دون تخطيط مسبق. ماشيًا في الشارع أجرُّ قدمي دون هدف محدد رأيت اللافتة عند مدخل البناية. دكتور عصام الفهري. طبيب أمراض عقلية واستشارات نفسية. هذا هو الحل. العيادة فارغة تمامًا. أدخلتني السكرتيرة فورًا. شابٌّ هو على غير ما توقعت. لعله أصغر مني. الأمر مربك. بقي صامتًا ينتظر المبادرة مني. انطلق الكلام من فمي دفعة واحدة: أشتغل معلمًا في قرية مهجورة عند تخوم الحسيمة. تعبت. أحتاج عطلة

طويلة. لا أسعى إلى علاج محدد. فقط شهادة طبية تسمح لي بإجازة مرضية لمدة سنة.

ألا ترى أن سنة كاملة فترة طويلة وقد لا يُقبل طلبك دون فحص طبي مضاد من طبيب الوزارة؟

لا تشغل بالك بهذا. دَعْ تلك التفاصيل لي.

أخذ ورقة من فوق سطح مكتبه خربش عليها ورفعها إلى مستوى وجهي. قرأت المكتوب: لو أردت الكشف الطبي العادي مرحبًا بك. ستكلفك الجلسة ثلاثمائة درهم. لو كنت مُصرًّا على الشهادة المرضية التكلفة ألف درهم.

ماذا يحسبني لأحمل معي ذلك المبلغ الكبير. أخرجت محفظتي. أخرجت ما بها من أوراق نقدية وضعتها على مكتبه. مجموعها كان خمسمائة درهم. أخذها صامتًا وخط الشهادة المطلوبة بعد أن سألني عن اسمي.

التقطت الشهادة المختومة من يده بلهفة العطشان لرشفة ماء بعد أيام من التيه في الصحراء. تنهدت. طويت الورقة وقمت مودعًا.

انتظر. قال وأنا أهمُّ بمغادرة الحجرة.

حين تحدث نفسك هل تجد نفسك تتلعثم بالكلام أم تتحدث بطلاقة؟

تسمرت صامتًا. حرك يديه في الهواء. إنه فضول علمي فقط. قال. كان لديَّ خال يتأتئ بالكلام أكثر منك لكنه حين يغني يخرج صوته بطلاقة تامة.

أشار لي أن أعود للجلوس. تفضل دعنا نتحدث قليلًا. ليس في الأمر ما يخجل. أظنك تعرف عدد المشاهير الذين يعانون هذا الخلل في الكلام.

النبي موسى.

نعم وغيره كثير. لديك إسحاق نيوتن مثلًا. الممثل أنتوني توين. نعم الأمر صعب التصديق. هل سبق أن قرأت أَلِيسْ في بلاد العجائب؟ كاتبها لويس كارول أيضًا يتلعثم في الكلام. الأمر منتشر بكثرة أكثر مما نعتقد. تصور أننا خلال فترة قصيرة قد نرى رئيسًا لأمريكا يتلعثم في الكلام؟

نخرت. لا يمكن طبعًا.

بل ممكن. هناك سياسي أمريكي اسمه جون بايدن. تعلم

كيف يتجاوز مشاكل النطق هذه لكن أحيانًا تظهر للعيان تأتأته. هو يصعد في المناصب بسرعة ولا شك يجهز نفسه للترشح للرئاسيات الأمريكية ولو نجح سيكون أول رئيس منتخب لقوة عظمى يعاني التلعثم. طبعًا هو ليس وحده. هناك الملك جورج الخامس ومعه كان رئيس الوزراء وينستُن تشرشل.

أحرك رأسي مستنكرًا.

نعم. صعب التصديق. المهم. هل جربت من قبل علاجًا ما؟

طبعًا لا. هل تتصور هذا أمرًا تفكر به أسرة مغربية أن تبحث لطفلها عن علاج من مشكلة تعتقد أنها مَسٌّ من الجن أو ابتلاء إلهي كما ابتُلي النبي موسى؟

صحيح. يبتسم. يقترب بوجهه. يسند رأسه على أصابع كفيه المتشابكتين.

ثمة دواء أمريكي جديد. إمم. هو ليس جديدًا تمامًا. هو دواء في الأصل مخصص لمقاومة الغثيان عند النساء الحوامل

لكن ظهر مؤخرًا أنَّ له تأثيرًا جانبيًّا إيجابيًّا على مشاكل النطق. غير مفهوم بعد كيف يعمل. تأثيره تقريبًا موجه لبروتين غامض يُسمى survivin. لا داعي لشغلك بهذه التفاصيل.

ارتفعت دقات قلبي. هل يوجد حل سحري لهذه المأساة؟

كأنه قرأ أفكاري قال. لا تتوقع أنها حبة سحرية تخلصك من التأتأة. لكنه دواء يستحق التجربة. هو غير موجود في الأسواق عندنا. دعني أُجري اتصالاتي وسأرى إمكانية توفيره لك. سأتصل بك حين أحصل عليه. هلّا تركت لي رقم هاتفك؟

ولم يتصل بي إلا بعد عامين وكنت قد نسيت الموضوع تمامًا.

أع. أيها اللعّعّع ــين لم أنتبه وقرأت ما كتبت بصوت لا شك التقطه قلمك الملعون. تبًّا.

تبًّا. تبًّا. على أي لا سر في القصة أنت تعرفها. تبًّا. أعود إلى الحمام لأتخلص من اهتزازات الحيوان العصبية. أخرج من باب آخر. يجب أن أنسحب دون أن يراني النادل. القارورة مقفلة ولن يصعب عليه إعادتها دون أن يضطر لدفع ثمنها

من جيبه. أمرُّ بجانب المقر الرئيس لبنك المغرب المقفل منذ سنوات لإجراء إصلاحات كأي إصلاحات في هذه المملكة السعيدة تبدأ ولا تنتهي أبدًا. أعود إلى ساحة الأمم مجددًا وأجلس. بضعة أمتار وبضع دقائق تنتظرني لأصل إلى المؤخرة التي ستخنق هذا الحيوان الجائع. الحيوان التعس عاد يرتجف بحركات عصبية لا إرادية متلهفة كأنه يتشمم الثقب الذي ينتظره أسفل الشارع. على يميني أفواج من الناس يصعدون في شارع محمد الخامس. أغلبهن نساء. أغلبهن يبعثن في الجو أطنانًا من الفيرمونات. أنفي لا يحس بها لكن حيواني مستثار لها. لو كانت حاسة شمي حادة بما يكفي لتمييز الفيرمونات لأُصبت بالاختناق من الكمية التي ينضح بها جسد حميدة المتهيجة دوما. دائمًا. إنها لا تشبع أبدًا. كنت دائم الخوف عليها حين تخرج وحدها لأنها قادرة على جذب أي رجل تمر بجانبه. مفعمة بالحياة دومًا. زهرة يانعة دائمة الشباب. اللعنة عليك يا ححححميدة الخائنة. خمسة أشهر من تجهيز التأشيرة وأوراق السفر ولم تخبرني بكلمة إلا قُبيل ساعات من سفرها. عليك اللعععع اللعنة بعدد النجوم في السماء. الجميع يتحدثون مع أنفسهم لكن لا أحد يستغرب طالما في آذانهم سماعات البلوتوث أما أنا فالكل ينظر إليَّ باستغراب وقلم التسجيل قرب فمي. لو كانت في أذني سماعة بلوتوث لما اهتم أحد بحديثي. أو عليك

اللعنة على الأقل بعدد مرضى السرطان في المغرب. أغلبهم من ضحايا الحرب الكيماوية. ضحايا قنابل الغازات السامة التي ألقتها إسبانيا على الأبرياء في قرى الريف شمال المغرب. ححححميدة يا حميدة أي حميدة. لم أخبرك من قبل. حكت لنا جدتي يومًا أن جارا لهم سقطت ثلاثة قنابل على فناء بيته قبل سنوات من ولادته حكى لها أن أختيه الاثنتين أُصيبتا بالعمى الدائم ثم تُوفِّيتا بالسرطان وفقد أخوه الأكبر كامل شعره وعانت أمه من مشاكل في التنفس حتى ماتت بسرطان الرئة وفقد والده صوته إلى الأبد. عليك الرحمة أماه. ححححميدة. ححححميدة يا حميدة آه يا حميدة. قلت لي يومًا إنك تشتهين لو عشنا معًا كلانا في جزيرة معزولة بعيدًا عن كل الناس شعرتُ يومها أن حميدة تحبني لكن عائلتها لن توافق عليّ أكبُرها بأزيَد من عشر سنوات ولا أملك مصدر دخل ثابت آمن كانت تريدني لكنها لن تستطيع الدفاع عني أمام عائلتها جالسين في المقهى متجاورين كفها على كفي وأحيانًا تُسقطها لتمسِّد فخذي أو تفلتها لتوقظ الحيوان قالت إنها تشتهي لو كنا في جزيرة معزولة أن تستيقظ فجرًا وترتمي في البحر عارية أن ألحق بها قلت برقت عيناها وضغطت على فخذي نعم قالت وأغمضت عينيها أن ألحق بك إلى البحر وأحملك تحيطين خصري بساقيك ونعلم الأسماك طقس الفحولة ضحكت

وتلمظت ثم نخرج ونكرر الأمر على رمال الشاطئ المبتلة
قالت حميدة التي لا تشبع أبدًا عليك الرحمة أماه كان حظك
تعسًا لدرجة أن طفرات الورم الخبيث انتقلت بسلام من
جدتك إلى جدتي ووصلت إليك أنت بالذات دون أحد من
إخوتك أو أبناء خالاتك وأخوالك فعشش الورم في ثديك
ثم استشرى وأودعك قبرك قبل أوانك حميدة لا تصدق
أن سرطان والدتي ناتج عن الأسلحة الكيماوية التي ألقتها
إسبانيا بتواطؤ فرنسي ودعم ألماني وصمت بريطاني على قرى
الريف المكدسة بالأبرياء قالت بأن التأثير لا يمكن أن ينتظر
جيلين قبل أن يظهر على والدتي حميدة الجاهلة لا تعرف شيئًا
أبعد من الدغل الصغير أعلى فخذيها حححميدة يا حميدة
يمكنك أن تذهبي أنت الأخرى إلى الجحيم ثمة متسع لك
المكان سيليق بك حتمًا تقول الإحصائيات بأن ستين بالمائة من
مرضى السرطان المتعالجين في الرباط هم من مدينتَي الحسيمة
والناظور حيث تركز القصف المكثف بالأسلحة الكيماوية
حححححميدة الجاهلة ثمة أدلة صمتت عنها الحكومة المغربية
حتى لا تُغضب صديقتها إسبانيا تفيد بأن غاز الخردل ربما
تسبب في طفرة وراثية يمكن أن تؤدي إلى انتقال السرطان وراثيًّا
من المتعرضين للقصف في العشرينيات من القرن الماضي إلى
أبنائهم ثم أحفادهم تعتقدين أنني أهلوس لكنني لا أهلوس

أيتها الجاهلة حميدة وأنت أيضًا أيها الطّطّببيب الجاهل المتخفي خلف عين السايكلوب لا تعرف شيئًا أنت الآن في نيويورك أنتما كلاكما في نيويورك ابحثا هناك ستجدان دراسة أمريكية أُجريت على الحيوانات تثبت قدرة غاز الخردل على التسبب بطفرات وراثية في الخلايا الجنسية وإحداث تغيرات متوارثة قادرة على التسبب بالسرطان لدى الأجيال التالية ابحثي يا حميدة في تاريخ وطنك أيتها الجاهلة أم تُراكِ لا وطن لك إلا حيث يقودك فرجك؟ لماذا تنظرون إليّ؟ أنا مجنون أليس من حق المرء أن يكون مجنونًا أنااا مجنووون. أ ن ا م ج ن و ن. هل من مانع. لا تتتتحححححوقل في وجهي أيها المأفون وأنت ما المضحك في الأمر يا عععععاهرة. اعلمي يا حححميدة إسبانيا قتلت والدتي. هل تعلمين أن المؤرخ الإسباني العظيم سيباستيان بلفور ذكر في كتابه عن حرب الريف «العناق المميت» وثيقة غير منشورة لوزارة الصحة أنجزها المعهد الوطني للأنكولوجيا تقول بأن تسعةً وأربعين بالمائة من مجموع 2624 طفلًا يتعالجون من السرطان بمستشفى الرباط بين 986) و 998) ينحدرون من شمال المغرب؟ من أين برأيك جاء أولئك الأطفال بالسرطان إن لم يرثوه عن آبائهم وأجدادهم الذين تصدوا للاستعمار الإسباني؟ تذكَّري أيضًا مدى الفقر الذي تعرفه الأسر في شمال المغرب وخاصة

منطقة الريف تعرفين أنه ليس بمقدور جميع الآباء نقل أطفالهم للعلاج في العاصمة تخيلي إذن الرقم الحقيقي لمرضى السرطان تخيلي عليك اللعنة عليك الرحمة أمَّاه الإنعاظ لا يريد أن يهدأ فلأذهب الآن. أنااا مجنون وأنتم مصيركم الجحيم. تفو. شهيييق. زفييير.

بضعة أمتار نزولًا. أعبر إلى الجهة الأخرى من الشارع. أتجمد في مكاني. شهييق. زفييير. خمس نساء واقفات ينتظرن زبائن قد يأتون وقد لا يأتون. من أين سأجد الجرأة لأقترب. هذا الحيوان التعس سيقودني إلى الجحيم. بل هي حميدة التي فعلت. ثلاث منهن يُدخِنَّ. أكره التدخين. أكره الرجال المدخنين وأكره الجلوس بجانبهم وأمقت النساء المدخنات. بالتأكيد الأخريان أيضًا تدخنان. فقط لا تفعلا الآن. لا توجد عاهرة لا تدخن ولا تشرب الخمر ولا تتعاطى الهيروين. إنها من ضرورات المهنة. نمط حياة لا يخلو من الإجهاد. أيام متواصلة من القلق واكتئاب يكاد يكون مزمنًا عندهن. على الأقل عند مومسات الناصية. العاهرات الأرخص اللواتي لا يملكن إلا أن يلتقطن الزبائن من الشارع. أقترب إلى واحدة من الاثنتين غير المدخنتين. المؤخرة. بالكاد تخرج الكلمة من شفتي. تنظر إليّ بازدراء من رأسي إلى قدمي ثم تزمُّ شفتيها

وتبتعد عني ولا أظنها سمعتني. تشير لي الأخرى بإصبعها فأقترب. مائة درهم. خمسون درهمًا. الأسعار ارتفعت يا حبيبي. خمسون درهمًا هي كل ما لديَّ. لديك نصف ساعة. أضع الورقة النقدية في كفها وأتقدم أمامها تتبعني. الآن الجزء الصعب. أين سأجد المكان المناسب لإخماد جوع الحيوان. هل قلت شيئًا؟ شهييق. زفيير. أين سيارتك؟ لا أملك سيارة. لا أظنك ستحجز في الفندق لأجل نصف ساعة من الإيلاج في المؤخرة ولا تحاول أن تأخذني إلى شقتك لا تحلم أن تحصل مني على أكثر مما اتفقنا عليه. شهييق. زفيير. لماذا تتنفس بهذه الطريقة الغريبة هل أنت مسطول؟ يمكننا أن نجد ركنًا مظلمًا هناك خلف العمارات. ما هذا الابتلاء يا ربي هل أنت مخبول؟ خذ نقودك واذهب العب بعيدًا أيها المكبوت. من فضلك زوجتي ماتت منذ أسبوع وأنا مخنوق أريد أن أموت أنا أيضًا. شهييق. زفيير. أففف ما هذا الابتلاء يا ربي.

تتأبط ذراعي وتسحبني معها نحو الزقاق المظلم. هل صدقتني بهذه السهولة؟ ربما لدي فرصة النجاح في عالم التمثيل. لن تكون الأوسكار صعبة. تنظر إليّ. هل قلت شيئًا؟ ههه. تضحك حين أحاكي سؤالها. تسبقني بخطوة. أهمس. لا. لا. أفضل الأوسكار كمخرج أفلام. سأبدأ أولًا بكتابة السيناريو ثم أتعلم

أسرار الإضاءة وبعد ذلك فنون التحرير والتقطيع والمؤثرات البصرية وبعد ذلك يحين موعد إخراج تحفتي السينمائية. يومًا ما. الأسهل أن أركز اليوم على كتابة الرواية. سأحصل على أوسكار أفضل رواية. ما هذا الغباء. لا توجد أوسكار عن الروايات. هناك البوكر العربية وهناك المان بوكر إنترناشيونال وثمة كاتارا والشيخ زايد وطبعًا نوبل الآداب. نوبل بعيدة. لا تُمنح لمستحقيها إلا حين يقتربون من القبر أو حين تكون هناك ضرورة سياسية مُلحَّة. تقول إن اسمها نسرين. إنها تكذب. كلهن يكذبن. تضيق حدقتا عينيها. تتوقف. يبدو على وجهها القلق. لا تقلقي. هل ترين المصباح الوامض لقلم التسجيل؟ أسجل أفكاري. أسجل أفكاري وأصف ما أراه أمامي. لا تشغلي بالك. هذا يساعدني على تجاوز حزني على وفاة زوجتي. ترفع كتفيها. تمط شفتيها. هي لن تخبرني باسمها الحقيقي الذي قد يكون فطومة أو عايشة أو ميمونة أو أي اسم من الأسماء التي كان الآباء يسمون بها بناتهم في نهاية السبعينيات. تضحك وترفع كتفيها مجددًا. عمرها حتمًا لا يقل عن الخامسة والثلاثين. لو كانت أصغر ما كانت لتنتظر زبائن مثلي في مثل هذا المكان. تنظر إليّ بحزن أو عتاب. أمامها الفنادق والمطاعم والمقاهي حيث يمكنها بسهولة أن تحصل على زبائن يدفعون بسخاء مقابل لياليهم الحمراء. لكن نسرين

اسم جميل. يصلح عنوانًا لرواية. لرواية تكون هي بطلتها.
ستكون نسرين من مدينة الدار البيضاء ستحب وهي دون
العشرين من عمرها أستاذًا لها في المدرسة الثانوية سيحبها هو
أيضًا سيجيء لخطبتها وسترفض عائلتها لفارق السن الكبير
بينهما وسيكون ذلك السبب المعلن غير أن السبب الحقيقي
هو تواضع راتب الرجل وانعدام فرص الترقية أمامه بعد
أن اقترب من سن التقاعـ(تنظر إليّ. ههه خيالك جامح)
ـــد ستفرض نسرين الأمر على عائلتها وستقول بأنها حامل
ستزوجها عائلتها درءًا للفضيحة لكنها ستقطع علاقتها بها
ستخسر نسرين عائلتها مقابل لا شيء الزوج الذي سيبدأ
حنونًا لطيفًا سيصير بعد الزواج عصبيًّا وقاسيًا حين يكتشف
أن عضوه لا يستطيع دائمًا القيام بما يجب القيام به سيضرب
زوجته التي كان يمكن أن تكون ابنته لو أنه تزوج ابنة خالته
التي أحبها قبل أن تهرب مع ابن عمها وتوصم كلتا العائلتين
بالعار إلى الأبد سوف يضربها ولن يكون أمام نسرين غير
الصبر لن تستطيع الشكوى إلى عائلتها التي حتمًا ستنتظر مثل
تلك الفرصة للشماتة فيها قسوة الزوج ستتمادى وسيصل به
الضرب ذات مرة أن تجهض جنينها الذي حبلت به بعد أن
جرب مرة واحدة الحبة الزرقاء التي لم يتحمل قلبه تكرار
تجربتهـ(ترتبك خطواتها وتكاد تتعثر)ــــا سيأتي الطلاق

بعد ذلك وسيرفض أبواها استقبالها وسيسحلها أخوها بعيدًا عن باب بيتهم ستجيء إلى طنجة لتقيم عند خالها لكن الخال غائب عن البيت طيلة النهار وزوجة الخال ستحول نسرين الضيفة إلى خادمة تقوم بكل أعمال البيت وفي أثناء أغلب الليالي سيأتي ابن خالها المراهق الذي لم يكمل الخامسة عشرة من عمره ليحتكَّ بها وكلاهما بملابسهما ثم يمص شفتيها سيهددها أن يشتكي لأبيه أنها تتحرش به وتضربه وتسرق مصروفه ستمضي أسابيع سوداء من المعاناة اللانهائية ستشتهي نسرين أن تأتيها الجنيَّة أن تُلبسها فستانًا فاتنًا أن تحضر لها العربة التي ستنقلها إلى حفل الأمير حيث ستهرب عند منتصف الليل وتترك فردة من حذائها الفضي الذي سيجده الأمير وسيقلب مملكته بحثًا عنها ويتزوجها حين يجدها سيكون حلمًا طفوليًّا يخفف عنها إلى أن يجيء ابن خالتها ليلةً ويطلب منها أكثر من احتكاك خارجي ستنظر إليه بغضب ستهم أن تصفعه لكن المصباح سيومض عن فكرة في رأسها عليك أن تدفع الثمن ستقول له سيجري إلى غرفته وسيعود ويرمي في حجرها مائة درهم ستلتقطها بسرعة وستخفيها في حمالة صدرها سترفع قميص نومها وستنزل تبانها هيا بسرعة قبل أن يعود أبوك ستقول وسيقضي المراهق الصغير وطره بسرعة وستحس نسرين للمرة الأولى مرة بطعم النصــ(هذا يكفي) ــــــر. تنقطع خيوط إلهامي وتضيع الرواية التي أكتبها عن

نسرين. وصلنا. تمسح دمعة هربت من مقلتها. تسحبني حتى نحتمي بالظلام عند مدخل جراج عمارة. هيا بسرعة. تنزل الجينز. اصمت توقف عن هذا الكلام السخيف.

ما بك لا شيء لا أستطيع لم أعجبك ليس القصد إنما لا أستطيع لا أعرف ماذا حدث لقد نام فجأة ويرفض الاستيقاظ عليك اللعنة مكبوت مبتدئ طراااخ طراااش اذهبوا بعيدًا يا كلاب لعنة الله عليكم عاهرة منحوسة كلب مكبوت طراخ ابتعد عني ماذا تفعل إلى أين أووه اللعنة مرحبًا بالآنسة نسرين ما الذي جاء بك إلى هذا الزقاق المظلم طراق يا لك من وجه شؤم فلتَعضَّ أيها الحيوان كما تشاء لا نصيب لك بعد حميدة توقف عن محادثة نفسك كالأحمق من الأفضل أن تتفق معهما لا تدعهما يأخذانا إلى الحجز لكني لا أملك معي درهمًا كل ما كان معي هو الخمسون درهمًا التي دفعتها لك طراق انظر لا أملك درهمًا هذا كل ما لديّ خذه عليكم اللعنة هذا كل ما لدي أي شؤم هذا يا رب ابتعد عني يا وجه الشؤم فلتعض أيها الحيوان كما تشاء لا نصيب لك بعد حميدة أعبر الشارع وأجلس على أحد الكراسي الحديدية المواجهة للكورنيش استجبت لطلب نسرين لكنك حتمًا يا طبيبي الملعون سبعًا لن تفهم شيئًا. سأعود إلى البداية.

بعد أن طلبت مني نسرين التوقف عن الكلام انحنت واستندت

بيديها على الحائط. زأر الحيوان وتصلب أكثر مما كان. أخرجته. وضعت كفي على بشرتها ولامس رأس الحيوان الجرف بين هضبتيها. تسارعت دقات قلبي وجفلت. ملعون من يأتي المرأة من أحشائها. تردد الحديث النبوي الذي لا أدري شيئًا عن صحته في أذني. ليس يهم إن كان صحيحًا أم لا. لا. لا أستطيع. الأمر مقزز. أعدت الحيوان إلى قفصه واستدرت لأنصرف. ما بك؟ جاء سؤالها محمولًا على ريح الدهشة. لا شيء. لا أستطيع. رأيت بريق الدمع في عينيها. لم أعجبك؟ ليس القصد. إنما لا أستطيع. لا أعرف. لم يسبق لي أن أتيت امرأة من الخلف. أكملت انصرافي. عليك اللعنة. صرخت وركلت باب الجراج فخرق صوت الركلة سكون الحي. توقفت دون أن أستدير. انتظر. قالت. لا أريد صدقة. لن أقبل منك مالًا لا تأخذ مقابله. أشفقت عليها. أردت أن أقول بأني مسامح ولن أطلب استرجاع المبلغ إلا أنها قاطعتني. ولن أعيد لك المبلغ وقد أتينا إلى هنا. قالت ورفعت قميصها وانحنت مجددًا. تعالَ خذني من حيث تريد. ثم غمغمت كلمات لم أسمعها. لا شك أنها سبة من سباب العاهرات. لم أكن لأقبل لولا عضات الحيوان المؤلمة جدًّا. اقتربت واحتضنتها. مسَّدتُ فخذيها ثم فتحت سروالي لأخرج الحيوان من جديد. صوت الماء يتهشم على الأرض. سطل من الماء أُلقي من الأعلى بالكاد نالنا منه

بضع قطرات تبعه الصوت الراعد من الأعلى. اذهبوا بعيدًا يا كلاب. لعنة الله عليكم. ضحكتُ. ضحكت هي أيضًا. زررت سروالها وجرينا محاذرين من أن يهوي علينا سطل ماء آخر. لا حظ لك. قالت. نعم. قلت. شكرًا. قلت وطبعت قبلة على خدها واستدرت لأنصرف. إلى أين؟ وجدت أمامي شاربًا كثيفًا يغطي كامل الوجه. وجدت وجهًا مدورًا صغيرًا فوق جثة ضخمة تلبس بذلة الشرطة. ليس مجددًا. صرخت نسرين من خلفي محتجة وأطبقت يد الرجل على كتفي وخرج من وراء ظهره شرطي آخر. أنحف منه. حليق الوجه. عيناه عينا ذئب وأنفه أنف صقر. مرحبًا بالآنسة نسرين. ما الذي جاء بك إلى هذا الزقاق المظلم؟ قال الشرطي مستهزئًا ولم ينتظر ردًّا من نسرين المتبرمة. أشار إلى زميله فدفعنا إلى سيارة الشرطة المركونة في ظلمة آخر الزقاق. أدخلنا إلى الجزء الخلفي من سيارة الڤان وأقفل علينا. يا لك من وجه شؤم صرخت نسرين. يبدو أنها على حق. آسف. لا أملك ما أقوله غير عبارة الأسف تلك التي قلتها فعلًا صادقًا. فلتَعضَّ أيها الحيوان كما تشاء. لا نصيب لك بعد حميدة. توقف عن محادثة نفسك كالأحمق. صرخت. من الأفضل أن تتفق معهما لا تدعهما يأخذانا إلى الحجز. قالت. أعرف يقينًا أنهما لا يرغبان بأخذنا إلى الحجز. لا فائدة لديهما من ذلك. كنت أعرف من القصص

التي سمعت من أصدقاء مختلفين وقعوا فريسة رجال شرطة فاسدين سنبقى محجوزين في السيارة بضع دقائق ثم سيأتي أحدهما ليطل علينا وسيلقي على رأسنا خطبة عن الحشمة وحديثًا عن إذا ابتُليتم فاستتروا. ثم سيتنحنح وسيقول بأنه ليس من العدل أن يقضي شابان مثلنا ليلة عصيبة في مخفر الشرطة وما يتبع ذلك من فضيحة. سيقول بأنه لو كان الأمر بيده لأطلق سراحنا فورًا لكن زميله لن يسمح بذلك. سيقول بأن زميله يمكن أن يغض بصره وسيرفع يمناه ليفرك السبابة مع الإبهام. هذا مفهوم. لكنني لا أملك معي درهمًا. قلت لنسرين بأني لم أكذب عليها حين قلت سابقًا بأن كل ما معي هو خمسون درهمًا التي دفعتها لها. ينفتح الباب وقبل أن يفتح الشرطي فمه قلت له انظر. أخرجت هاتف نوكيا القديم الذي استمر معي طيلة عشر سنوات. فتحت الغطاء وأزلت البطاقة من تحت البطارية. لا أملك درهمًا. هذا كل ما لديّ. خذه. لم يتردد الشرطي ومد يده يقنص الهاتف من يدي ثم التفت إلى نسرين ورسم الاستفسار على وجهه البليد. عليكم اللعنة. صرخت نسرين ودفنت يدها في حقيبتها وأخرجت ورقة الخمسين درهمًا. رمتها في وجهه وصرخت مجددًا. هذا كل ما لديَّ. أي شؤم هذا يا رب. ابتسم الشرطي ولم يهتم بالتقاط الورقة التي سقطت عند قدميه. شرّع الباب ودون

كلمة ابتعد عن طريق خروجنا. مددت يدي أساعد نسرين فلطمت يدي. ابتعد عني يا وجه الشؤم. قفزت من باب الڤان وقفزت بعدها. تعمدت عدم النظر إلى وجه الشرطي. دسست يديّ في جيبَي السروال وأخفضت رأسي متوجهًا نحو الكورنيش.

هذا ما كان من حكايتي مع العاهرة والثقب الذي تعذر على حيواني يا ططبببيي الملعون. هل أعجبتك الحكاية؟ Good enjoy. أمامي أضواء إسبانيا واضحة جدًّا. الضفة الأخرى التي صارت حُلمًا يتهافت عليه الشباب والرجال والنساء بحثًا عن حياة أفضل هناك. هل تعلم أيها الطّطّطّبببيب المأفون أنني رفضت يومًا فرصة الهجرة إلى بلجيكا ورفضت وظيفة محترمة؟ طبعًا لا تعلم شيئًا عني فكل ما يهمك أن أعلق قلمك الأسود هذا وأحدث عين السايكلوب طيلة الوقت كما لم يهم حميدة أن تعرف عني شيئًا إلا أن أكون متاحًا لإشباع نهمها. يوم أخبرتها بخبرك المشئوم لم تصدق. تجمدت. حسبت الخبر مزحة. أرادت الضحك. اختلط بكاؤها بضحكها. نوبة من الهيستريا ولم أرَها بعد ذلك اليوم. هل سأندم يومًا على فرصة الهجرة التي ضيعت؟ لا أظنني سأندم. ماذا تُراني أفعل هناك؟ نعم أوروبا جنة لكنها جنة إذا كنت تملك المال اللازم للعيش

في الجنة. حين يكون لديك المال المطلوب للعيش في جنة أوروبا يمكنك آنذاك أن تخلق جنتك حيثما شئت. صوت الأمواج عذب ومذاق الملح في الجو لذيذ. قبل وفاة والدتي كان الموت الأقسى الذي صادفته وفاة عمتي خديجة تحت الأقدام أمام السياج الحدودي لمدينة مليلية. عمتي أخت والدي غير الشقيقة. مليلية المدينة ذات السيادة الإسبانية وسط التراب المغربي. طبعًا تعرف هذا وإلا فإنك عارٌ يمشي على قدمين. يومها كرهت انتمائي لهذا الوطن البئيس الذي يدفع نساءه ليصرن كما الحمير يحملن أثقالًا لا تقل كل حُزْمة منها عن ستين كيلوجرامًا من السلع المهربة من مليلية. كانت عمتي ذات الأطفال الستة والتي ترملت وعمرها تسعةٌ وعشرون عامًا تعمل حمالة. يسمونهن هناك وفي صالات تحرير الأخبار العالمية النساء البغلات. عمتي النحيلة التي لو هب النسيم لقذفها إلى الجهة الأخرى من العالم تعمل حمالة تحمل على ظهرها أكثر من وزنها. تغادر البيت فجرًا بعد أن تجهز الفطور لصغارها وتجهز لهم حقائب المدرسة وشطائر غداء لن تشبعهم من الجوع. تصل قبل أن يصحو الصباح إلى المعبر الحدودي حيث تتلقى الطلبات من مشغلها. تدفع رشوة معلومة لحرس الحدود من الجهة المغربية. أحيانًا تُغلق الحدود من الجانبين ولا تمر أي امرأة. رزق اليوم منوط بالحظ.

تحث عمتي خطوها لتعبر الجانب الآخر من الحدود. تلقي تحيتها على الحرس الإسبان الذين ألفوا وجهها. تتوجه رأسًا إلى المخزن في وسط المدينة حيث ستجد حزمة ضخمة جاهزة طلبها مشغلها من قبل. تحمل تلك الكتلة الرهيبة على ظهرها وتسير لا تقدر على رفع جسدها. بعض الأيام تأتي بحزمة أخرى أثقل تدحرجها أمامها بجانب الثقل الذي تحمله على ظهرها كخطيئة أبدية لا يمكن التوبة منها. مع كل ذلك الثقل على النساء أن يجرين بأكبر سرعة لعلهن يتمكَّنَّ من القيام بأكثر من رحلة ونادرًا ما يسمح لهن الحرس الإسبان بأكثر من رحلة واحدة. أحيانًا يلتقين الوسطاء غير بعيد عن الحدود حيث ينتظرون بشاحنتهم. الرجال أيضًا صاروا يمتهنون هذه المهنة بعد أن سُدَّت أمامهم فرص العمل الأخرى. السباق يكون كبيرًا. أحيانًا يسمح الحرس الإسباني للنساء بالعبور أولًا وأحيانا الرجال أولًا. عند المعبر تلتقي جحافل النسوة. الزحام شديد وحرارة الشمس محرقة وأمطار الشتاء فيضانية. لو تأخرت إحداهن قليلًا ستجد المعبر قد أُقفل وعليها المبيت في العراء إلى اليوم التالي. أحيانًا تضطر النسوة لرشوة الحرس الإسبان أيضًا. بعد المغادرة تدفع النسوة للحرس المغربي مرة أخرى. الأمر نفسه يتم بحذافيره في معبر سبتة. المدينة المغربية الأخرى المحتلة من إسبانيا منذ ستة قرون أو سبعة. إسبانيا

ترفض أي إمكانية لإعادة المدينتين للمغرب طالما أن بريطانيا ترفض أن تعيد لها صخرة جبل طارق التي احتلتها منذ ثلاثة قرون. تجري عمتي بظهر مقصوم. تسلم الحزمة المستحيلة الحمل لمشغلها وتجري بظهر مقوس لتكمل مسئولياتها في البيت التي لا تنتهي. يمكن أن يسبب لها الثقل المفرط آلامًا تستمر أسبوعين أو أكثر تلزم فيها البيت دون مورد رزق لأطفالها اليتامى. جاءت صاعقة موتها دهسًا تحت الأقدام الراكضة وكرهت نفسي يومها وكرهت الوطن الذي ما عدت أريده وطنًا. لولا شفقتي على والدتي آنذاك لرميت بنفسي إلى البحر. لن أندم.

لا.

لن

أندم

على

عدم

الهجرة.

كل من أعرف من الذين هاجروا إلى أوروبا وإسبانيا خاصة هم نوعان. نوع يترك فرصة العمل بكرامة في وطنه فيذهب للعمل غاسل صحون في المطاعم أو منظف مراحيض أو حمالًا في ورشة بناء أو ما يشبه ذلك من الأعمال الشاقة التي لن يقبل أبدًا بالاشتغال بمثلها في المغرب. الفرق الوحيد أنه في أوروبا سيحصل على راتبه باليورو وسيغض الطرف عن حقيقة أن ما يحصل عليه من راتب من عمله المؤقت المتخفي من دوريات ملاحقة المهاجرين السريين بالكاد يكفيه قوت يومه ولن يدخر منه شيئًا ليشتري به قطعة أرض في المغرب يبني عليها بيتًا هو الأطول في الحي وسيارة فارهة يفاخر بها أبناء حيه كما كان يفعل المهاجرون السابقون إلى الجنة الأوروبية حين كانوا يعودون خلال العطلة الصيفية. أما النوع الثاني فهو من عينة الكائنات الفطرية الاستغلالية الانتهازية التي يمكنها استغلال وخداع أي أحد. نجيب صديق الطفولة وزميلي المعلم في المدرسة سافر إلى إسبانيا بتأشيرة دخول سياحية وبقي هناك. اشتغل في مركز إسلامي مدرسًا للعربية لأبناء المغاربة من الجيل الثاني. تعرف هناك إلى إسبانية حديثة الدخول في الإسلام كانت تتردد على المركز لدراسة اللغة والدين. تقرَّب منها بدعوى مساعدتها على فهم الدين الجديد. أقنعها أن الزواج حصن المرأة المسلمة وبأنه حصنها

الحصين. تزوجا. حصل على أوراق الإقامة. ضبطته زوجته مع امرأة أخرى. تطلقا. اكتأبت هي وحاولت الانتحار وعَبَر هو الحدود إلى بروكسيل. حصل على الدعم من البلدية ومن أحد المراكز الثقافية لتمويل مجلة ثقافية بالعربية لا يطبع منها أكثر من مائة نسخة يوزعها على الجهات المانحة والأكشاك القريبة من مكاتبهم وباقي المال يودعه جيبه. أحيانًا يقتطع فقرات من مقالات متعددة يقنصها من الإنترنت ومن مجلات فرنسية مختلفة ويلصقها مع بعض فيرسل النتيجة المترجمة إلى إحدى المجلات الخليجية ويضيف إلى حسابه مئات إضافية من الدولارات عن كل مقال تنشره له مجلات الخليج الصقيلة الزاهية الألوان الفارغة من المحتوى. دعني أقرب القلم إلى فمي لتسمعني بوضوح أيها امم يا طبيبي. وحدها الكويت خدمت الثقافة العربية بمجلاتها وسلاسل كتبها القيِّمة. أما باقي دول الذهب الأسود فكل ما فعلته مجلاتها الباذخة ودُور نشرها محدودة الانتشار أنها أغوت الكُتاب بتعويضاتها المالية وسرقت المترجمين وامتصت وابتلعت حقوق النشر فصار ينطبق عليها ما انطبق على المرأة التي لا هي أطعمت القطة ولا هي تركتها تعيش من خُشَاش الأرض. أو ربما هي نجحت تمامًا في مهمتها الحقيقية. تمييع الثقافة وشراء ذمم الكتاب. مجددًا تشطح في أفكارك وتهلوس بما لا تعلم. أضواء إسبانيا

واضحة جدًّا. الضفة الأخرى التي صارت حلمًا يتهافت عليه الشباب والرجال والنساء بحثًا عن حياة أفضل هناك. جميعهم نسوا أو بالأحرى لا يعلمون شيئًا عما فعلته إسبانيا بعد هزيمتها المدوية في معركة أنوال. تطورُ كفاءة جيش عبد الكريم الخطابي ونجاعة أسلوب حرب العصابات الذي صار مدرسة لدى القوى الثورية في كل العالم مع النقص البشري لدى الجيش الإسباني دفع القادة في إسبانيا إلى دراسة اعتماد أسلحة كيماوية متطورة لا تتطلب المواجهة المباشرة. اضطر الخطابي للاستسلام بعد تمادي القصف الكيماوي. بريطانيا اختارت الصمت رغم علمها بالتحركات الإسبانية وفرنسا غضت الطرف حمايةً لمصالحها. أراحها تمامًا أن تستخدم إسبانيا ذلك الحل الناجع دون أن تضطر هي لتلويث يديها بأسلحة قذرة يحتمل أن تمثل لها مشكلة سياسية مستقبلًا. أعرف أيها الطّطّطّبيبيب الملعون سبعًا وسبعين مرة أنك لن تصدقني حين أعيد إليك القلم وتسمع هذه التسجيلات. سترى أن كلامي يبدو سردًا محبوكًا وليس محض كلام عفوي كما تنص شروط التجربة. ستشك بأنه محض أكاذيب. إنها الحقيقة. أو ربما ليست حقيقة. لن تعلم أبدًا وأنا سأكتفي بمتعة أنك لن تعلم أبدًا. ههه.

ححححححميدة يا حميدة أي حميدة. تُوفِّيت والدتي من قبل أن تولد. تُوفيت في اليوم الذي بدأت فيه الغارة الأولى. يوم 22 يونيه 924) ألقت إسبانيا ست عشرة قنبلة على مركز قيادة الخطابي وعشرين قنبلة على منزله. كل قنبلة كانت تزن خمسين كيلوغرامًا معبأة بغاز الخردل وبضع كيلوغرامات من متفجرات تي إن تي. تواصل القصف لأشهر وكان يستهدف الأسواق الأسبوعية والتجمعات البشرية. امتد القصف إلى الحدود مع منطقة طنجة الدولية ووصل حتى مدينة العرائش. بدأت الحيوانات تنفق بسرعة. الفواكه والخضر تفسد. الماء تسمم. تَفَشَّى العمى وظهرت الدمامل والقروح ومشاكل التنفس والحروق الخطيرة. لا أحد كان يعلم آنذاك شيئًا عن حقيقة الآثار بعيدة المدى المدمرة لغاز الخردل التي استمرت لسنوات وأصابت جيلين متلاحقين بالمرض الخبيث. ححححححميدة اللعينة اشتقت إلى آهاتك المتناسقة مع صوت اصطفاق اللحم وفرقعة الهواء عند التقاء الجسدين. أسمع حفيف ثوب تحركه الريح. تجلس بجانبي على الكرسي الحديدي الذي بدأ الصدأ يصيبه من رطوبة المدينة. لا تقول شيئًا. تقترب حتى تلصق فخذها الساخنة بفخذي. أستدير إليها ولا أقول شيئًا. ملامح وجهها تقول بأنها بين الأربعين والخمسين من عمرها. عيناها تلمعان بالشهوة. تلبس عباءة سوداء من نوعية العباءات

الخليجية التي غزت الأسواق وتغطي شعر رأسها بمنديل حريري ينزلق عن مقدمة رأسها ويكشف خصلات من شعر فاحم يلمع بالأضواء المنعكسة عليه. يبدو وجهها مألوفًا لكني لا أتذكر أين رأيته. إحساس مزعج. أعرفها ولا أتذكر كيف. تبتسم حين أنظر إلى وجهها وتتسع ابتسامتها حين ترى المصباح الأخضر يومض على صدري. تضع كفها على فخذي ولا أمانع. هل تُراني أحلم؟ لا شك أن تحديقي في البحر خدرني وسلبني وعيي فنمت وأنا الآن أحلم. إذن لا مشكلة فلأواصل حلمي. أمد يدي إلى باطن فخذها العارية البارزة من فتحة عباءتها وأصعد متحسسًا إلى الأعلى. تتأوه بدلال يدفعني للتمادي أكثر فتنتقل كفي إلى الأعلى حيث أحس بالبلل بين ساقيها وأجدها لا تلبس شيئًا تحت عباءتها. ششش انظري هناك متشرد يَسْتمنِي. أين؟ اخفضي صوتك هناك على المقعد الحديدي. ههه هيا بنا لا شأن لنا به. ششش انتظري. تتأوه بصوت أعلى وتمسك كفي. ليس الآن. تمد يدها إلى حجري وتنطلق تدلك حيواني الذي يكاد يخترق الجينز السميك. أتأوه وأمد ساقيّ أمامي. حركاتها دقيقة ومدروسة كأنها محترفة. محترفة في تدليك الحيوانــ(تضحك لتعليقي. يا لضحكتها الساحرة)ـــات. تتوقف قبل أن يفور النبع وتسألني. هل تحتاج مالًا؟ ماذا تقصد هذه الحورية

التي خرجت إليّ من البحر؟ أتجاهل سؤالها وأعيد يدي إلى ملتقى فخذيها مستشعرًا بالبلل. أتأوه لصوت أصابعي تحتكُّ بالسائل الكثيف داخل جرحها وتتأوه هي. أفتح القفص لأحرر حيواني فتقبض عليه بيدها وتواصل تدليكه وتواصل أصابعي حركاتها. متعة مزدوجة طالما استمتعت بها مع حميدة هنا أمام الأمواج. انفجرت النافورة وواصلت أصابعي حركاتها بسرعة. بعنف. بلهفة. تضغط المرأة بكفيها على الكرسي وتميل رأسها إلى الخلف تتأوه. الصوت واللزوجة ويعود حيواني للحياة مجددًا بسرعة غير معهودة. تصرخ المرأة وتعض شفتها. أمسكها من كتفها وأجلسها على الأرض بين ساقيّ. يلامس الحيوان شفتيها. تقبله. ليس هنا. تقول وتقف. تأخذ بيدي وأتبع الحورية التي خرجت من البحر. حتمًا لست أحلم. تأخذني إلى سيارتها وتنطلق. تبتسم لي. تُخرج هاتفها وتتحدث همسًا. أسمع كلمة واحدة. تَجهَّزن. لا يمكن أن تكون جدتي بهذه السذاجة. هي تعرف أنها ثمرة علاقة غير شرعية تعرف أن أباها مجرد فقيه نكرة عُين في جامع القرية فترة ثم ذهب لذلك تصر على حكاية أنوال وأبيها الذي تؤكد أنه مات شهيدًا تصر على تكذيب شائعات هروبه مع الإسبانية. تتسلق السيارة سريعًا شارع محمد الخامس الذي بدأ زحامه يخف. من تُراها هذه الحورية الصامتة التي لا تقول كلمة إلا ابتسامات

ترسمها على شفتيها الرقيقتين متى ما التفتت إليّ؟ إحساس مزعج يخزُّ عنقي. أعرف هذه المرأة لكن من هي؟ تشبه حميدة. لا شبه بينهما فيما يخص قسمات الوجه. لديهما الشبق نفسه. الاقتحام ذاته. كما اقتحمت حميدة حياتي في لحظة جنون ها هي ذي هذه التفاحة الناضجة تقتحم حياتي في لحظة يأس. في لحظة حلم سريالية. تصغُرني حميدة بعشر سنوات. تكبُرني هذه الفاتنة الشهية بعشر سنوات أو أكثر. لا شك أنها تسببت كثيرًا حين كانت شابة بحوادث سير أينما ذهبت ولعلها أتلفت رقاب آلاف الشباب وأصابتهم بالحَوَل. لا شك أن زوجها وهذه الجميلة حتمًا متزوجة كان يعيش في عذاب دائم خوفًا على جوهرته. أرقام الساعة على لوحة قيادة السيارة تومض على تمام العاشرة. لا تزال المقاهي المتهادية على ضفة شارع باستور ممتلئة وطاولاتها الخارجية مكتظة بشوارب وعيون موجهة نحو الشارع تتابع يمينًا ويسارًا العجيزات السارية في الاتجاهين. كأنهم جمهور مباراة لعبة تنس. تحمل أعينهم برفق العجيزة القادمة من اليسار وتودعها بأمان جهة اليمين ثم تلتقط العجيزة القادمة من اليمين وتودعها برفق جهة اليسار. أرى جوادًا خلف الواجهة الزجاجية لمقهى كلاريدج منغمسًا في حديث مع كريم وعلى الطاولة أمامهما دستة من الأوراق. يجب أن أرى يدها اليسرى. هي فعلًا تلبس خاتم

الزواج في بنصرها. لا تقلق زوجي في مدينة العيون لا أعتقد أنه سيعود أبدًا. تقول الماكرة وهي تراني أحدق في خاتمها أو لعلها تتنصت على همساتي التي لا يفترض أن تسمعها. في الجيش؟ تتسارع دقات قلبي مع سؤالي الذي ينفلت بتلقائية. تغمز وتكتفي بغمزتها جوابًا. يا لها من فكرة. رواية عن جندي عائد من الحرب يعاني من بي تي إس دي. اضطراب ما بعد الصدمة. لا يهم أي حرب. كل الحروب تقوم لأتفه الأسباب. فلتكن حرب رمال جديدة. حرب عبثية أخرى بين المغرب والجزائر. الجندي الشاب الذي سبق أن أتم خدمته العسكرية الإلزامية سيؤخذ من طنجة إلى جبهة المواجهة في الجنوب. خمس سنوات كاملة ثم ستنتهي الحرب بأبطال سيقفون أمام أضواء الكاميرات وحديث عبثي عن اتفاقيات سلام أكثر عبثا من الحرب نفسها. سيعود صاحبنا الجندي إلى طنجة التي غاب عنها خمس سنوات وسيجد مدينة مختلفة تمامًا سيصل صيفًا سيعتقد أن الشاحنة العسكرية عبرت من ثقب دودي وحطت الرحال في عالم آخر على أحد الشواطئ الأمريكية أو الإسبانية أو البريطانية النساء عاريات يا للهول الدودة التي بين ساقيه ستنتعش وستصير أفعى ثعبانًا أناكوندا لعله متزوج سيجد أن زوجته تخلت عنه لا داعي لهذه الميلودرامية المستهلكة فليَكُن أعزب سيذهب إلى البيت وسيقفل عليه

سيعاني كثيرًا من الكوابيس بسبب الحرب وما رآه من أهوال الحرب الجثث الدامية والأطراف المبتورة والأكل الفاسد والاقتتال على المومسات اللواتي يَزُرْن الثكنات مرة كل شهر سيجتر كثيرًا كلمة تلو الكلمة قصة قصيرة قرأها في رواية كافكا في طنجة يحفظها هو كما أحفظها أنا كلمة كلمة.

«سمعنا الرصاصة ورأيننا نسقط كنا قد بتنا في العراء ملتحفين بالنجوم تحت سماء الصحراء القارصة وكنا نسابق الزمن في بناء الجدار الرملي ليل نهار وكنا نراقبنا من الجهة الأخرى نبني الجدار الرملي ليل نهار جئنا من جامعة وهران وجئنا من جامعة محمد الخامس وجئنا مَزهُوِّين بشارة الملازم من المعهد الملكي وجئنا مزهوين بشارة الملازم من كلية الأركان وتطوعنا من شوارع عنابة والرباط وسطيف وتلمسان وفاس ومراكش وأُخذنا عنوة من بيوتنا في طنجة وتطوان وقسنطينة وباتنة وأكادير سمعنا صوت الرصاصة ورأيننا نسقط نسقط دفعة واحدة نسقط كما قال ذلك الشاعر العربي كجلمود صخرٍ حطَّه السيل من عَلٍ كان يومنا الأول هنا وما زال جلدنا طريًّا تخدشه أشواك الشمس وكانت سنتنا الخامسة هنا وقد لوحت الشمس وجوهنا وشققت الصحراء كفوفنا وحفرت رمالها أخاديد في أقدامنا أُصبنا بالحمى وسهرنا الليالي نتقيأ تقيأنا

حين انفجر اللغم وأطار قدمنا وتقيأنا حين أصابت رصاصتنا قلبنا وتقيأنا حين دفنَّا جسدنا الذي فارقته الروح وتقيأنا حين تناولنا طعامنا المنتهي الصلاحية وتقيأنا حين لدغتنا العقارب والأفاعي أُصبنا بالحمى وسهرنا الليالي نرتجف ارتجفنا حين لامست أصابعنا برودة البنادق أول مرة وارتجفنا حين لامسناها في المرة العاشرة ولم نشعر ببرودتها تحدثنا عن حبيباتنا المنتظرات في مدرجات الكلية وزوجاتنا الحوامل المنتظرات في بيوت آبائنا وأمهاتنا الساهرات المناجيات أسحار الليل خالق الليل والنهار أن يعيدنا إليهن قطعة واحدة سليمة تحدثنا عن كامو والبيَّاتي والسيَّاب ونازك الملائكة وبنت الشاطئ والعقاد وطه حسين تحدثنا عن أنواع السيارات وقوة المحركات تحدثنا عن الحشيش وكرة القدم والدومينو والورق في ليالي المقاهي الساهرة كنا واقفين نضحك وكنا واقفين نبكي وكنا واقفين واجمين وكنا واقفين نتأمل وكنا واقفين نصلي كنا واقفين حين أطلقنا الرصاصة وسقطنا في لحظة كنا واقفين وفي لحظة هوينا أرضًا سحبنا زرًّا واحدًا وانهار الجسد دفعة واحدة كان ثم لم يكن أمسكنا حفنة من الرمال وتركناها تتسرب من بين أصابعنا كالسراب وأبصارنا شاخصة نحو الشفق الأحمر للشمس الغارقة في دمائها قلنا إننا سنعود لإكمال دراستنا حين تنتهي الحرب وقلنا إننا سنعود إلى حقولنا وإلى صدور

أمهاتنا وحواري أزقتنا وقلنا إننا سنكمل دراستنا في أرقى الكليات العسكرية في بريطانيا وأمريكا وقلنا إننا سنعود لإنشاء مشروعنا التجاري وقلنا إننا سنعود لنكتب كتابًا عن بشاعة الحرب وقصائد عن وحشية الحرب وقصة قصيرة عن عبثية الحرب تبدأ حين سمعنا الرصاصة ورأيننا نسقط وتنتهي بنا شاردين أمام الشمس الغاربة وحفنة الرمال تنزلق من أصابعنا.»

سيزعجه الإنعاظ أكثر من مرة. سيفعل ما كان يفعل في الجبهة. الاكتفاء بالكف الخشن وبالصابونة إذا ما توفرت. ما عاد هذا كافيًا الآن. سأجعله يخرج في رحلة ملحمية كما خرج يوليسس من قبل في الأوديسة. أو ربما كما خرج عوليس في ملحمة جيمس جويس التي لم أقرأها ولا أظنني سأقرؤها. ليس في العمر متسع لقراءة رواية يقول كل من قرأها إنها معقدة وغامضة وتتطلب سنوات لفهمها. ما هذا العبث؟ بعض الأكاديميين يفخرون أنهم أمضوا عشرًا أو عشرين سنة لدراسة رواية لا تزيد على ألف صفحة. ما الفائدة؟ ثمة عشرات الظواهر المجتمعية المعقدة المُلحَّة التي تتطلب مثل ذلك التفرغ لدراستها وسيكون العائد من ذلك أفضل لكامل المجتمع. لا فائدة من إزهاق أرواح

عشرات السنوات لتسويد صفحات عن تحليل عوليس ستُقرأ ضمن اجتماع مغلق لنقاد يحقد كل واحد منهم على الآخرين ويتسابقون جميعهم لنيل كرسي ما في الجامعة ليجلسوا عليه ويشرفون على تكوين نقاد آخرين سيتنافسون بدورهم للتسابق نحو ذلك الكرسي ذاته بعد أن يدبِّجوا الدراسات عينها عن الرواية نفسها. خيالك جامح. تقول المرأة كما قالت نسرين من قبل. مَنْ نسرين هذه؟ لا تشغلي بالك. أعود لأهمس بخفوت. سيخرج بطلنا الجندي في رحلة ملحمية لتأجير جسد امرأة تدفئه ولو ليلة واحدة وكهفا يغرق فيه ولو لدقائق. يريد أن يجرب ذلك الإحساس الذي لم يجربه من قبل. لا يهم إن مات بعد ذلك. ستكون رحلته مأساة تراجيدية مع لمحات كوميدية لا مفر منها. رغم العري الذي يراه ورغم السهولة التي يرى بها الرجال يحصلون على النساء فإنه سيجد صعوبة تامة في ذلك. هو مختلف عن الرجال الآخرين الذين لا تنقصهم السيارات الفارهة التي يسيل لها لعاب النساء وجيوبهم متخمة بأوراق نقدية لا يعرف كيف أمكنهم الحصول عليها وحياتهم كلها عبث. إنه عبث الإرث. الثروة التي توزع حسب درجة قرابة الدم دون أي اعتبار لاستحقاقات الجهد. سيكتشف حياة الليل في طنجة كما لم يعرفها من قبل. «ليلًا في طنجة» سيكون عنوانًا مناسبًا للرواية. يمكن الاكتفاء بعنوان

«ليل طنجة» وسيكون العنوان بالإنجليزية هو By night in Tangier. سيكون هناك تناصٌّ مباشر مع رواية روبرتو بولانيو «ليل تشيلي By night in Chile». هي رواية جيدة. لا بأس بها. لكن النقاد في العوالم المتحدثة بالإسبانية والإنجليزية أثنوا عليها كثيرًا وأطنبوا في حقها من كلام المديح. ربما يجذبهم عنوان الرواية إلى روايتي فيقولوا عنها بعضًا من بديع مديحهم. يمكن كتابة الرواية كفقرة واحدة بأسلوب تيار الوعي. ما لم ألقَ حتفي هذه الليلة ويستحوذ أحدهم على قلم التسجيل ومعه روايتي. ربما يدعي عثوره على مخطوط ما وينشر روايتي باسمه. على الأرجح سيغير عنوانها. لن يختار ليل طنجة. ربما يختار عنوانًا على غرار ألف مُسوَّدة ومسودة أو يفضل مليون مسودة. ربما يكون كفؤًا بما يكفي ليختار عنوانًا مبتكرًا مثل الرواية غير المكتملة لجواد الإدريسي. لكن على الأرجح لن يعجبه التدفق الكامل عبر فقرة واحدة ويقرر أن يكسر رتابة الحكي إلى فقرات متعددة. كل شيء جائز. أكره الروايات التي تكتب كفقرة واحدة أو جملة واحدة دون أي فواصل كما أكره كتابات تيار الوعي. ربما الخطأ ليس في الأسلوب نفسه بل فيمن يعتمد الأسلوب دون تمكن. أرى أن طبيعة الرواية عن الجندي العائد من ويلات الحرب ستفرض ذلك الأسلوب. سأحكي الحكاية من وجهة نظره وسيتعرف القارئ

إلى سلسلة أفكاره المتداخلة. البطل لن يرتب الأفكار في رأسه على شكل فقرات. ستكون الرواية قصيرة ولن يفرق فيها القارئ بين الواقع وبين الهلاوس التي تمرح في عقل البطل. سيكتشف الجندي خلال رحلته عالمًا مخيفًا من أسرار الجنس في المدينة. سيكتشف نفاق المجتمع ولن يتحمل كل تلك الأوساخ. سأجعله يفعل أول ما يفعل حين يعود إلى بيته أن يرمي نفسه من أعلى السطح. لا. لا لا. قبل ذلك سأجعله يكتب رواية. بما أن الجميع صاروا يكتبون الروايات حتى شخصيات الروايات وشخصيات الرواية داخل الرواية داخل الرواية داخل الرواية. لا تندهش لو فتحت الدُّمْية الروسية ووجدت داخل دمية دمية تكتب رواية. سيكتب جندينا هو الآخر رواية وسيُعَنْونها «بيت اللذة». ستـ(احم احم. أين ذهبت؟ تقاطعني المرأة. أغمض عيني وأتجاهلها)ـــدور الرواية في زمن مستقبلي. ربما تكون الرواية ضمن تصنيف الديستوبيا. ستتحدث الرواية عن كاتب روائي يعاني الأَمَرَّين في مجتمع متخلف بسبب كتابته رواية تعرض مقترحًا سيخلص المجتمع من الدعارة وانتشار حالات الاغتصاب والأمراض الجنسية والأمهات العازبات الاقتراح هو الاعتراف القانوني بمهنة عاملي الجنس وإنشاء أماكن مخصصة لتقديم الخدمات الجنسية للرجال والنساء بشكل يحمي مصالح كل الأطراف

المعنية دون خوف من الابتزاز أو الملاحقات القانونية أو الوصم الاجتماعي أتخيل الآن مشهدًا سيدور بين الروائي ومذيع تلفزي سيستضيفه لمناقشة فكرته ألا ترى أن فكرتك هي دعوة صريحة لارتكاب فعل محرم دينيًّا سيكون سؤال المذيع وسيجيب الرجل كلَّا لنفكر في الأمر بشكل عقلاني استجابة لديننا الذي يدعونا لاستخدام العقل لو بحثنا عن أسباب تحريم الجنس خارج نطاق الزواج أو الزنا لو أردنا استخدام المصطلح الديني سنجد أن السبب الأول هو حفظ الأنساب مشروع بيت اللذة سيتماشى مع تلك الحكمة العاملون رجالًا ونساء سيقبلون بإجراء عمليات كيميائية أو جراحية لإلغاء إمكانية التخصيب نهائيًّا يمكن للمرأة أن تختار أي رجل من بيت اللذة وهي مطمئنة تمامًا أنها لن تحبل منه دون الحاجة لأن تستخدم موانع الحمل ويمكن للرجل أن يختار أي امرأة وهو مطمئن تمامًا أنها لن تحبل منه أما السبب الثاني للتحريم فهو الاحتياط من الأمراض وهذه أمرها سهل فكل عامل في بيت اللذة كما كل زبون سيخضع دوريًّا لكل الفحوصات الطبية المطلوبة لضمان الحفاظ على صحة العاملين والعملاء سيقفز المذيع إلى سؤال آخر حسنًا الفكرة المطروحة في الرواية عن بيوت اللذة المرخصة قانونيًّا والمعترف بها اجتماعيًّا ألن تقضي على مؤسسة الزواج سيجيب

الكاتب بالعكس المشروع سيحمي مؤسسة الزواج وذلك بأشكال مختلفة أولًا سيقضي على الزيجات التي تتم بدافع الجنس ليس إلا كم من رجل وامرأة يتزوجان في مجتمعنا فقط لأن الزواج يمنحهما الإطار الشرعي لممارسة الجنس هذه الزيجات سرعان ما تنهار وتترك خلفها أطفالًا مشتتين بين أبوين متباعدين ثانيًا مهما تكن المحبة بين الزوجين فإن الألفة قاتلة وبالتالي فإن السماح لكل من الزوجين بممارسات جنسية خارجية آمنة صحيًّا واجتماعيًّا وقانونيًّا ستسمح لهما بتجديد زواجهما وإعادة الألق الأوَّلي إليه بشكل دائم سيعتدل الكاتب في مقعده سيقاطعه المذيع هل ستقبل أنت أن تذهب زوجتك إلى بيت الدعارة ذاك لتجدد ألقها الأولي سيتجاهل الضيف السؤال غير المهني وسيضيف المهم هناك عامل إيجابي آخر لبيوت اللذة هو تحديد النسل ترخيص العلاقات دون الحاجة للزواج حل فعال لتحديد النسل لن نعاني بعد ذلك من الحمل الناتج عن الاغتصاب أو الحمل غير المتحكم فيه بين الشباب أو الحمل العَرَضي لنسيان أو فشل موانع الحمل كما سنتخلص من مشكلة الأطفال المشردين بسبب الطلاق وصراعات الأبوين مشهد جميل لا شك سيحقق للجندي نجاحًا باهرًا كروائي. أو ربما قبل ذلك وبعيدًا عن الرواية سأضعه أمام مفارقة كوميدية. هو خرج بحثًا عن

مومس يقضي معها ليلة لكن سيتعذر عليه ذلك وفي طريق عودته سيصادف جارته الشابة الفاتنة تبحث هي الأخرى عن رجل يدفئ ليلتها وسيعود معها. كل منهما خرج بحثًا عن الآخر رغم أنهما جاران وبيت كل منهما أمام الآخر. هذه فكرة عبقرية كيف بزغت في رأسي بغتة؟

تعبت. لا مزيد من الأفكار الآن. كتابة الرواية ليست سهلة أبدًا. كيف يحدث أن أرفف المكتبات مثقلة بروايات تلفظها المطابع على مدار الساعة؟ لو أن سلمان رشدي هو من يحكي حكاية الجندي لوجد أكثر من فرصة ليغوص في بحر لا قرار له من الحكايات المتداخلة والمتشعبة. فعل ذلك ببراعة في أطفال منتصف الليل. رغم أنه قام بمحاكاة دقيقة بالقلم والمسطرة لرائعة جونتر جراس طبل الصفيح فإنه نال الإعجاب والمديح المتواصلين من النقاد كما القراء على إنجازه الفذ كما لو أنه جاء بفتح سردي جديد. حكايته جميلة حتمًا لكن إن لم تكن الإنجليزية لغة الكتابة لديه و/ أو لو أن جراس كتب بالإنجليزية أو بلغة يسهل الترجمة منها دون ضياع روح النص الأصلي كما حدث مع أصله الألماني حين نقل إلى الإنجليزية أول مرة ما كان النقاد ولا القراء سيرون ما جاء به رشدي فتحًا عظيمًا. ربما كان سيُعتبر مجرد مقلد. ما كانت روايته

تلك ستنجح كما لم تنجح من قبل روايته الأولى. ما كان العظيم سلمان رشدي ليكون كما نعرفه اليوم وربما كان اعتزل الكتابة مذ ذاك. أنا لست سلمان رشدي. أحب الحكايات المتشعبة والقصص المتداخلة. أحب أن أمتع القارئ بمسارات سردية مربكة تتطلب منه التركيز وإعمال العقل. لكني ما زلت كاتبًا هاويًا لم ينجز رواية كاملة بعد ولكني لا أحب التفاصيل الكثيرة التي عادة لا يلجأ لها الكُتَّاب إلا لزيادة عدد كلمات الرواية وصفحاتها لأن الناشر يطلب ذلك أو للظهور بمظهر الكاتب المتمكن. المجد للرواية القصيرة حيث يترك الكاتب الخيوط في يد القارئ يشكلها كما يشاء. يبدو أنني أُشبه احجيوج أكثر مما كنت أعتقد. لو أن كافكا كتب بلغته الأم وليس بالألمانية التي رغم أنها صعبة فإن الترجمة منها أسهل وأكثر احتمالية من الترجمة من التشيكية لربما ما كان العالم ليسمع بفرانز كافكا. العالم محظوظ أن كافكا لم يكتب بلغته الأم والعالم غير محظوظ لأن ثمة المئات من الآخرين الذي كان بإمكانهم أن يقدموا فتوحات أخرى للعقل البشري لم يُتَح لهم الظهور عالميًّا لأنهم لم يحصلوا على أي اهتمام محلي ولم يلتفت إليهم أحد لترجمتهم إلى باقي العالم. الأفضل أن أجعل البطل جنديًّا أمريكيًّا عائدًا من العراق. هكذا ستكون الحكاية قابلة للتحويل بسهولة إلى فيلم أمريكي

وسأضرب عصفورين بحجر واحد. كتابة رواية وكتابة سيناريو. ربما كتابة الرواية ليست صعبة. التركيز هو الأصعب. لا زلت لم أَسْتعِدْ كامل تركيزي بعد. منذ قبلت بالدخول في تلك التجربة الطبية اللعينة مع ذلك الطبيب اللعين غاب عني التركيز تماما. نعم أقصدك أنت أيها الطّطّطّييييسب اللعين. لماذا أتعب نفسي. يمكنني أن أستغل نقطة ضعفي هذه وأحول غياب التركيز إلى لمحة من العبقريـ(تبتسم المرأة الفاتنة وتمسد على فخذي)ــــة. أتظاهر بالتحديث والتجريب وأدعي أنني كتبت رواية ما بعد حداثية. سأكتفي بالفصل الأول من نادي البشمرگة. سأضيف مقاطع قصيرة متنوعة عن كاتب مجنون أدمن أقراص الهلوسة وهزلت صحته وتآكل تركيزه. كاتب يحلم منذ سنوات بكتابة روايته الأولى وما زال الأمر مؤجلًا ومتعذرًا عليه. ستتخلل المقاطع أفكار أولية وشخبطات وفصول من روايات لم يكملها الكاتب. مليون مُسوَّدة سيكون عنوانًا رائعًا للرواية. يمكنني أيضًا أخذ مقاطع من روايتي احجيوج وأختبئ تحت غطاء التناصِّ والتلاقحات النصية. مقطع البداية من أحجية إدمون عمران المالح مناسب جدًّا. الظلام والتيه والفصول المرتبكة. سأقتبس ذلك حتمًا. سأختم بفصل عن جواد الإدريسي يصلح خاتمة لنادي البشمرگة التي صار عنوانها مليون مسودة أو ربما

الرواية غير المكتملة لجواد الإدريسي خيار أفضل وسأقول بأن الكاتب انتحر حين تعذر عليه إكمال روايته التي لم يكتب منها غير الفصل الأول والفصل الأخير وترك وصية لصديقه جواد مع تسجيلات صوتية عن مغامرة ليلية ليكمل الرواية. أو ربما أكشف في النهاية أن الكاتب مريض بالسرطان وهو على فراش الموت يهذي. لكنه سيواصل المقاومة ليتمكن من كتابة روايته. لن يغادر هذه الحياة دون أن يترك أثره. يقرر أنه يجب على العالم أن يعرف الجرائم التي ارتكبتها إسبانيا ودعمتها فرنسا وسكتت عنها بريطانيا. ربما أضيف أيضًا ظلالًا من اللّايقين وأقول بأن الكاتب خضع لتجربة طبية غامضة. ربما دواء جديد يمثل فتحًا مبينًا لمرضى سرطان الدماغ. أقراص كيميائية لتحفيز جهاز المناعة.survivin بروتين غامض لم تُحِط الدراسات بعد بكل تفاصيله يمكنني دمجه في الحكاية. أنا عبقري. طالما عرفت ذلك. ستكون الرواية متشظية متشعبة غامضة منقوصة وسيجد النقاد حتمًا ما يستخرجونه من ذلك. سيقولون بأنها رواية ما بعد حداثية بامتياز. قصيرة سريعة تحتفي ببطل مهمش لا حول له ولا قوة ومليئة بثغرات مقصودة لدفع القارئ ليكون إيجابيًّا في التلقي متفاعلًا مع النص. سيقول أحدهم هذه ليست مجرد رواية بل ورشة كتابة يُدخل بها الكاتب القارئ عنوة إلى عالم

الكتابة. يقفز الكاتب بوعي مقصود من موضوع إلى آخر ومن حكاية إلى أخرى ليعرض على القارئ لمحات موجزة من عوالم مختلفة. قد يتوقع القارئ من الكاتب أن يتوسع في تلكم الحكايات الفرعية التي يمثل كل منها مشروع رواية قائمة بذاتها ليكسو عظمها بلحم التفاصيل المدهشة. لكن تلك ليست نية الكاتب. هدفه هنا ألا يبقى القارئ حبيس التلقي السلبي بل يريده أن يشارك في الكتابة نفسها. يقدم الكاتب للقارئ خطوطًا عريضة ورؤوس أقلام لحكايات مختلفة ويقول له تفضل. إنه دورك. تخيل باقي التفاصيل ومتع نفسك. أنت أهل لذلك. أنت لا تحتاج مني لأن أكتب كل شيء. أنت قادر على ذلك بنفسك. سيضيف الناقد قائلًا بأنه لا توجد هنا ثغرات تفسد على القارئ متعة تلكم الحكايات قدر ما يجد مسارات محتملة لتطور الحكايات اختار الكاتب ألا يطرقها وتركها أرضًا بكرًا ليخوض القارئ غمارها بنفسه. رواية اللَّايقين سيقول عنها النقاد وقد يكتب عنها أحدهم إن الداخل إلى الرواية مفقود والخارج منها مولود. تلك التجربة اللعينة امتصت تركيزي. طلبني الطبيب وعرض عليّ مبلغًا من المال مقابل الاشتراك في تجربة سريرية للتحقق من نجاعة دواء جديد. إنه الطبيب نفسه الذي لجأت إليه سابقًا ليمدني بالشهادة الطبية التي منحتني الإجازة المرضية

لمدة عام. لم يَقُلْ اسم الدواء. قال إن التعمية ضرورية للتجربة. هناك ثلاث مجموعات مختلفة من المشتركين. مجموعة ستأخذ الدواء الجديد. مجموعة ستأخذ دواء شركة منافسة. مجموعة ثالثة سماها مجموعة التحكم ستأخذ دواءً وهميًّا. أقراصًا من السكر ليس إلا. أخذت الأقراص في الليلة نفسها التي ودعتني فيها حميدة. هل كان القرص هو السبب في روعة تلك الليلة؟ سيُمنح كل مشارك عشرة آلاف درهم وقلم تسجيل صوتي لتسجيل يومياتنا وكل ما نشعر به وكل ما نفكر فيه وكل ما يمر في وعينا من أحاديث مع النفس. قلم عجيب لم أعرف كيف سيتم تفريغه من التسجيلات. تستغرق التجربة شهرًا واحدًا من استهلاك الأقراص ثم الخضوع بعدها لمجموعة من التحاليل الطبية. ما الغرض من الدواء وما الهدف من التجربة؟ لم يَقُل الطبيب سوى أن الدواء يهدف إلى محاربة الاكتئاب وزيادة السعادة. لم أفكر طويلًا. كنت قد خسرت وظيفتي منذ عام ونصف بعد أن كثر تغيبي عن العمل وانغماسي في المغامرة الطائشة للمجلة. مشروع المجلة تركني غارقًا في الديون. مرض والدتي قصم ظهر الأسرة. قبلت فورًا. مر الشهر. لم أنتبه إلى أي فائدة من الدواء. لا أعرف. ربما السبب هو اكتئابي المتواصل من تخلِّي حميدة عني. تفاقم مرض والدتي. ذهبت للخضوع للتحاليل واستلام

المبلغ المتفق عليه. لا وجود للطبيب. الطبيب لم يأتِ اليوم. الطبيب سيأتي غدًا. وغدًا سيأتي الطبيب. غدًا. دقات قلبي تتسارع. كتلة صلبة تضغط على قلبي باستمرار. صعوبة في التنفس. دُوار دوري. غثيان كل صباح وصداع نصفي دائم. أخيرًا جاء اتصال من الطبيب. هو في الخارج. في نيويورك. مؤتمر طبي واجتماعات مع الشركة المصنعة للدواء. قال إن التجربة أُلغيت. المبلغ المتفق عليه؟ سألت. آسف. قال. ماذا تقصد وما هذه الأعراض التي أعانيها الآن؟ لا تقلق إنها أعراض الانسحاب. لا تقلق ستختفي خلال شهر. هل سأصبر شهرًا آخرَ على هذه الآلام المزعجة؟ تنهد ووصف لي دواء يمكنني أن آخذ منه قرصًا واحدًا في اليوم لمدة أسبوع ثم قرصًا واحدًا كل يومين وكلام من قبيل هذا الهراء. أبلغ الأمر لمرضته وذهبت إلى العيادة لاستلام الوصفة لشراء الدواء الذي يفترض أنه لا يباع بغير وصفة الطبيب. لاحقًا صرت أشتريه من صيدليات مختلفة ولم يطلب مني أحدهم الوصفة. ثمن علبة الدواء مائة وثمانون درهمًا. عليك اللعنة أيها الطّطّطّبيبب البّبّبّئئئئئئئئئئئئئئيس. فلتنحدر إلى درك الجحائم السبع ولتلتهم النار مؤخرتك الثقيلة. التهمت ثلاثة أقراص في اليوم الأول ولم أَعُد أُعدُّ ما أتناوله. ماتت أمي. منذ أسبوع لم أشرب الدواء وما عدت قادرًا على التركيز وهذا الحيوان

اللعين لا يريد أن ينام. أفتح عيني ويصطدم رأسي بسقف السيارة الصغيرة. تقفز السيارة على مطب في الطريق وتتخطى منطقة أيبيريا منحدرة نحو فال فلوري. إلى أين؟ أسأل الحورية الفاتنة. إلى شقتي. تقول وتعيد التأكيد. لا تقلق زوجي ليس في البيت. لقد نال ما يستحقه. الوغد. تلتفت إليّ. دعنا من هذا الحديث الكئيب. أشير إلى الحيوان المستيقظ. بل تحدثي أريد إلهاء هذا الحيوان الذي يعضني. تضحك. تبعد يدها عن مبدل السرعات وتقبض على الحيوان وتضغط. أتأوه. تضحك مجددًا. تتنهد. تحكي. كان ضابطًا مسئولًا عن مؤونات الجنود في الحامية العسكرية. سطا على مؤونات الجنود وباعها في السوق السوداء؟ أقاطعها. تضحك. لا تكن ساذَجًا. تقول. كلهم يفعلون ذلك ولا أحد يعاقبهم. زوجي عُوقب وأُرسل إلى الجنوب ليس لأنه يسرق طعام الجنود بل لأنه سرق عاهرة قائده. القائد يأتي ليلة كل جمعة بصبية إلى مكتبه في الحامية. ذات أسبوع انطلقت مشاحنة بين الجنود فترك المومس في مكتبه وذهب لعقاب المتشاحنين. حين عاد وجد المومس مشرعة ساقيها تحت زوجي. أضحك. دوري هذه المرة لأضحك وأقهقه. تضحك هي الأخرى. ما اسمك؟ أسألها وفي ذات تلك اللحظة وفي تلك اللحظة ذاتها تتوقف السيارة أمام باب الجراج. تضغط على الريموت كنترول لفتح

البوابة وتنزلق السيارة داخل جراج العمارة. العمارة نفسها التي أسكنها. تبتسم ثم تضحك. ألا تتذكرني؟ أنا جارتك مدام حنان. يا للحنان الصاعق. ححححميدة يا حميدة أينك يا حميدة هذه المرأة تسكن في الحي نفسه في العمارة ذاتها في الطابق عينه في الشقة التي أمام شقة عائلتي بابها أمام بابي بتطابق تام أي حميدة يا حميدة أينك يا حميدة. أضحك. أقهقه هذه المرة بجنون أكبر. رواية؟ ما هذه الرواية التي أريد كتابتها. أنا هو الرواية. ليس ثمة حكاية أفضل من الحكاية التي أعيشها. أخرج ليلًا بحثًا عن عاهرة وأعرض نفسي لكل أنواع المشاكل ثم في النهاية أجد غايتي عند جارتي وقد كان بإمكاني الوصول إليها أول مرة دون كل هذا التعب. أفهم الآن من أين جاءت فكرتي العبقرية عن جارة الجندي. يا لألاعيب اللاوعي. ما سر هذا الضحك؟ تسأل كأنها لم تسمع همساتي المنتشية لقلمك.

هل تعرفين قصة الحالمين؟ تحرك رأسها نافية. ضمن حكايات ألف ليلة وليلة حكاية عن رجل ثري يعيش في بغداد يتمكن منه الفقر حتى يلتهم كل ما يملك ويفقد كل ما كان لديه. همَّ بالاستجداء من الآخرين لولا أنه رأى في المنام رؤيا تقول له أن يذهب إلى مصر وهناك سيجد كنزًا. يذهب إلى مصر

ولا يجد مأوى غير المسجد فيقضي فيه ليلته. لسوء الحظ تعبر جماعة من اللصوص من المسجد لتسطو على البيت المجاور. تطاردهم الشرطة إلا أنها لا تقبض إلا على الرجل البغدادي وتحسب أنه منهم. يأمر الوالي بجلده جلدات عدة. يبكي التاجر الحالم مُصرًّا على براءته فيستفهم منه الوالي عن سبب مبيته في المسجد. يرد الحالم بأنه قَدِم لأنه حلُم أن كنزًا بانتظاره في مصر. يقول الحالم منكس الرأس. لكن يبدو أن الكنز الذي وعدني به الحلم هو هذه السياط التي نلتها من عسس مصر. يضحك الوالي ويقول له. يا قليل العقل كيف تصدق ما تقوله الأحلام؟ لقد حلمت مثلك بكنز في بغداد في المحلة الفلانية والشارع الفلاني تحت سدرة في بيت فلان لكنني لست غبيًّا مثلك لأذهب حتى بغداد بحثًا عن كنز وهمي. خذ هذه القروش وعد إلى بغداد. يعود التاجر الفقير إلى بغداد مغتبطًا. لقد كانت المحلة التي سماها له الوالي من حلمه هي محلته والبيت بيته. ومن تحت السدرة التي وصفها الحالم في مصر يستخرج التاجر البغدادي الكنز الذي وعده به الحلم في بغداد وكان عليه أن يذهب حتى مصر ليعرف مكان الكنز الذي كان قابعًا تحت رأسه. حكاية جميلة. تقول حنان وتسأل. ما الذي ذكَّرك بها ولماذا أضحكتك؟ أبتسم. لا شيء. أقول. أنا شخص مجنون. هذا كل شيء. أحب المجانين. تقول. خاصة

المجنون الذي لم يتوقف عن الهمس لنفسه. تضيف. أكرر ما قالت. تضحك. تمسك حيواني بقبضة يدها وتغمز. نخرج من المصعد. تسبقني وتفتح باب شقتها. ألتفت. لا أحد في الرُّوَاق. أتقدم بخطوات واسعة وألجُّ شقتها. تطوقني حنان من الخلف وتقبل عنقي. أمامي ثلاثة أزواج من العيون. ثلاثة وجوه. ثلاث نسوة. ألتفت بحدة إلى حنان. مممم ما هذا؟ حفلة. تقول ببساطة وتسحبني إلى المطبخ. باختصار كل واحدة من الثلاثة ستدفع لك مائتَيْ درهم وأنا سأدفع أربعمائة. إنها ألف درهم. هل أنت موافق؟ مموافق على ماذا يا مجنونة؟ على المشاركة في الحفلة طبعًا. تقول بالبساطة ذاتها. يحمر وجهي. تبتسم الملعونة. حسنًا. حسنًا. ستبدأ برقصة تعرٍّ. رقصة تعرٍّ؟ أبتلع ريقي وأسأل بصوت محشرج وحلق جاف. لا. حتمًا لا. لا يمكنني الموافقة على هذه المذلة. تتجاهلني وتكمل. الباقي سهل. رقصة جماعية بيننا. احتكاكات. فكر في الأمر. جنس خماسي. سيكون الأمر مذهلًا. تقول مذهلًا بالإنجليزية وتقفز في الهواء كمراهقة صبية. يا لتأثير المسلسلات الأمريكية. بعد ذلك ستأخذ كل واحدة منا إلى غرفة النوم. لا تقلق. توجد الكثير من المشروبات وتوجد علبة كاملة من الأقراص الزرقاء وعلبتين من العازل. اللعينة تغمز لي. فكر في الأمر. تُخرج من حقيبتها رزمة نقدية. تضعها على منضدة

المطبخ. هذه ألف درهم. فكر في الأمر. سأذهب للاستحمام. إذا وافقت اخرج وابدأ الشرب ريثما أجهز. إذا رفضت فلا مشكلة. لا مشكلة سوى أنك ستضيع ليلة ستندم عليها. لا تنخدع بسِنِّنا. لسنا كبيرات كثيرًا. تذكَّر أننا أكثر خبرة من أي شابة صغيرة ستطمع فيها. فكر جيدا. تخرج. أنظر بإمعان إلى رزمة الألف درهم. أنظر إلى الصارية المنتصبة. أستشعر عضات مؤلمة من الحيوان. أي حميدة يا حميدة. ماذا تتوقعين أن أفعل؟ ماتت أمي ولم تكن حميدة في العزاء. سأُخرس القلم وأدفنه في جيب السروال.

إنه الفجر. أعود منهكًا. أتوجه إلى الحمام مباشرة. أخرج مرتديًا الروب. أُخرج من الدولاب سروالًا تحتيًّا نظيفًا. أعلق القلم في حزام الروب. أنظر إلى الفراش. متعب ومرهق أنا غير أن النوم مخاصم لجفوني. ألتفت إلى الكمبيوتر الديناصوري على مكتبي. أضغط مفتاح الطاقة. مفتاح التشغيل. يهدر الجهاز. أبحث عن شبكة واي فاي متاحة في الحي. العملية ليست آمنة لكن ليس لديَّ ما أخاف عليه. أشغل المتصفح وأفتح صندوقي البريدي. الكثير من الرسائل الدعائية وتنويهات فيسبوك ورسالة من حميدة. ححميدة العزيزة أخيرًا تذكرتني. أفتح الرسالة. أحملق فيها مصعوقًا. أقوم من الكرسي. أسحب

قابس سلك الكمبيوتر. أخرج إلى الشرفة الملحقة بغرفتي. النسيم البارد يلاعب الروب المفتوح. أتكئ على القضبان الحديدية التي يفترض أن تحمي من السقوط لكنها أقصر من أن تحمي أحدًا. أتأمل الشارع الفارغ. أنظر إلى الأعلى أتأمل السماء الكالحة. لا نجوم في السماء. أمام نظري لا تزال كلمات رسالة حميدة مطبوعة على أعصابي البصرية. حبيبي يسعدني إخبارك أنني بخير والجنين كذلك نعم أنا حامل علمت اليوم أنه ذَكَر سيشبهك حتمًا لن أنساك أبدًا سأسميه حتمًا باسمك لا تقلق لن أطالبك بشيء من مسئوليات الأب لن أعود إلى المغرب سأتزوج الأسبوع القادم من حبيبتي هانا سنعيش في نيويورك هي تملك متجرا لبيع الكتب وتدرس معي الترجمة المقارنة سنتزوج وبعد فترة أحصل على أوراق الإقامة حبيبتي سعيدة بحملي وتترقب الصبي على أحَرِّ من الجمر كن بخير حبيبي. قلبي ينقبض. لا نجوم في السماء. دُوار. غثيان. مغص في المعدة. وووووع ييبع. عاشر مرة أتقيأ اليوم وهذا الصداع اللععيين لا يريد مفارقتي. هل حانت النهاية بهذه السرعة أيها الطّطّبيب الميئوس منه؟ نعم اسمعني جيدًا أنت الميئوس منه ولست أنا. دستة الروايات على سطح المكتب حيث كان الكمبيوتر يومًا تسخر مني. تُخرج لسانها وتقول بأن الجميع يكتبون الرواية وأنا الفاشل الوحيد. الفاشل في كل شيء.

أطبق قبضتي على حاجز الشرفة الحديدي. أرى جوادًا أمامي. هل تراه أنت بعين السايكلوب هذه؟ *قادته قدماه وغاب عنه وعيه حتى وصل إلى نهاية كورنيش مالاباطا ووجد نفسه أمام مجرى مفتوح لتصريف فضلات سكان المدينة مباشرة إلى الشاطئ. على يساره رأى أطفالًا يسبحون مستمتعين وسط مياه الفضلات الممتزجة بمياه البحر وعلى يمينه رأى القنطرة التي تغطي جزءا من وادي الصرف الصحي حيث تمر عليها السيارات بسرعات لا تسمح للمشاة بالعبور. أطل على المجرى وحدق بعض الوقت في المياه المتهادية بثقل الفضلات البشرية. أخرج من جيبه مغلفًا مرسومًا على ركنه أيقونة خضراء لأفعى تلتهم ذيلها ومكتوبًا عليه مختبر التحليلات الطبية والإنجاب البيولوجي. تأمل فيه طويلًا حتى دمعت عيناه. زَمَّ شفتيه. قَطَّب جبهته. ثم أرخى قسمات وجهه. تنهد وترك الحسرة تطبع نفسها على بياض لوحة الوجه. انزلق المغلف وانفلت من يده ورأى الرياح الخفيفة تلاعبه قليلًا كأنها تهدهد ريشة لتنام قبل أن تودعه سطح الماء. رآه يطفو قليلًا ويسري مع التيار إلى أن تشبع بمياه الصرف الصحي وأنزله ثقل الفضلات إلى الأعماق. بقيت العبارة مطبوعة على عينيه. نتيجة الاختبار الطبي إيجابية. عقيم هو حتى النخاع ولا أمل له بالإنجاب. كَوَّر قبضته اليمنى ولَكَم السور المطل على*

الوادي. كيف سمح لزوجته أن تستغفله وتحبل منه مرتين؟ زفر. رفع رأسه واعتدل. مسح بطرف إصبعه دمعتين عالقتين عند ركن عينيه. التفت وأشار إلى سيارة أجرة توقف سائقها عند إشارته المباغتة بفرملة قوية. انتظر السائق من جواد العنوان وبقي جواد متجمدًا لثوانٍ محاولًا التذكُّر. انطلقت السيارة بعد أن تذكر العنوان وبقي شاردًا إلى أن وصلت السيارة إلى مدخل العمارة. خطا جواد وكاد يتعثر عند أول درجة. تجنب المصعد لسبب غير مفهوم. الوصول إلى الطابق الثالث تطلَّب منه عمرًا من الهواجس وأنهارًا من العرق. وصل أخيرًا وقبل أن تصل يده إلى الجرس فتحت فدوى الباب. نظرت إليه صامتة. نظر إلى قدميها وسكن هناك. منذ عام وأنا أنتظرك. قالت فدوى ولم يَقُل شيئًا ودون أن يرفع رأسه ولج جواد وغلقت عليهما فدوى الأبواب. الشلل يخدر ذراعي اليسرى. أسمع صوت خطوات الممرضة هانا يطرق في الرواق. إنها قادمة وستجبرني مجددًا على مغادرة الشرفة. الهواء البارد يؤذي رئتي. هذا كل ما تقوله وهي لا تشبع من مداعبة الحيوان وأنا أهمس في أذنها بالاسم الذي تحب. حنان. تردد هي خلفي. هانان. الشلل يخدر ذراعي اليسرى. هذه الغرفة ضيقة خانقة. قلمك هذا قلم أسود

يبدو عاديًّا جدًّا. صالح للكتابة كأي قلم. قلت يا طّطّطّـ دكتور إنه مخصص فقط لهذا النوع من التجارب. إنه قادر على التقاط أدنى الهمسات. القلم غير متوفر في الأسواق. قلت. بعد شهر التجربة كان يجب أن أعيد القلم. ادعيت أنك لا تعرف آلية عمله ولا قدرته التخزينية. أرفع رأسي إلى السماء. لا نجوم في السماء. صدى نقرات كعب الحذاء. غيم كثيف يتقدم. ما عادت الفصول تحترم مواعيدها في هذه المدينة. أسمع الباب يُفتح. ما زال أمام الصيف أسبوعان قبل أن يلملم صفاء نهاراته المشمسة ويستلم إذن انصرافه الرسمي من الخريف وها هي ذي السماء تشرع أبوابها كما لم تفعل شتاءً. ارتبكت بوصلة المناخ في هذه المدينة التعيسة. الأسفلت أسود. قاتم السواد ومبتل. لا نجوم في السماء.

شكر

في البداية دائمًا، إبتسام زوجتي وطفلي زيد، على صبرهما وتحملهما شرودي المتواصل وعصبيتي الدائمة.

امتناني وشكري العميق للمترجمة الشاعرة، المحررة ريم غنايم، على جهدها العظيم، العظيم جدًّا، الذي بذلته معي لتحرير مُسوَّدة هذه الرواية وتدقيقها.

كما أشكر الصديق أنس سعيد محمد على المراجعة اللغوية للمسودة النهائية قبل تسليمها إلى قسم المراجعة والتحرير في دار العين لملائمتها مع المدرسة النحوية المعتمدة لخطهم التحريري.

المؤلف في سطور

محمد سعيد احجيوج، كاتب وروائي. أصدر مجموعتين قصصيتين، «أشياء تحدث (2004)» و«انتحار مُرْجَأ (2006)». كما أصدر مجلة «طنجة الأدبية» (2004–2005). صدرت له في القاهرة، ديسمبر 20)9، نوفيلا «كافكا في طنجة»، وهي تُترجم حاليًّا إلى اللغة الكردية – الكرمانجية كما تُرجم فصلها الأول إلى الإيطالية والإنجليزية والعبرية. صدر له في بيروت، أكتوبر 2020، رواية «أحجية إدمون عمران المالح» وقد لقيت احتفاءً نقديًّا بارزًا.

البريد الإلكتروني:

ms@hjiouij.com